# مقامات فاطمة الزهراء

# في الكتاب والسنّة

تأليف:
السيد محمد علي الحلو

فهرس المحتويات

المقام الأول: القرآن ومقامات فاطمة (عليها السلام)
المقام الثانى: حجّيتها على الأئمة والأنبياء المرسلين (عليهم السلام)
الجهة الأولى: حجّيتها على الأئمة (عليهم السلام)
الجهة الثانية: حجّيتها على الأنبياء المرسلين
المقام الثالث: مريم مثل ضربه الله لفاطمة (عليها السلام)
مقامات السيدة مريم(عليها السلام)
أولاً: مريم وتحديث الملائكة لها
حجية مريم بنت عمران(عليها السلام)
مراحل الاعداد والاصطفاء
التشريك في النعمة... تشريك في الحجّية
الاعتقاد بحجية مريم من خصوصيات الدين الاسلامي
الوسط الاسلامي..والتطرف المسيحي
التشابه بين مقامي مريم وفاطمة عليهما السلام
فاطمة(عليها السلام) فوق مقام الأوار
فاطمة (عليها السلام) من المطهرين الذين يمسون الكتاب
فاطمة (عليها السلام)وحجّيتها لدين الاسلام
الجهة الأولى:
الجهة الثانية:
الأول: الوجه الكلامي:
الثاني: الوجه الفلسفي
الثالث: الوجه العرفاني
المقام الرابع: أمومتها للنبي في مقابل أمومة زوجاته للمؤمنين
المقام الخامس:رضا فاطمةرضا اللهوغضبها غضبه
المقام السادس: مباهاة الله تعالى بها لنبيّه(صلى الله عليه وآله)
المقام السابع: خطبتها(عليها السلام) تدلل على مقامها وحجيتها(عليها السلام)

المقام الثامن: حجيتها في مقام الدفاع عن علي(عليه السلام)

المقام التاسع: شمولها(عليها السلام) مع أهل البيت في الآيات

المقام العاشر:ولايتها(عليها السلام) في الامور العامّة

الجهة الاولى:ولايتها في الأموال العامّة

الجهة الثانية: المراد من ذوي القربى

الجهة الثالثة:الزهراء أول من ينطبق عليها ذوي القربى

الجهة الرابعة:إذنها في الخمس والأنفال بمقتضىولايتها

الجهة الخامسة:الآية تُثبت انها أبرز أفراد ذوي القربى

الجهة السادسة:ثبوت الخمس لها ومطالبتها به يقتضيولايتها

تأملات جديدة في محاججات فدك

رؤية جديدة في فدك

الجهة السابعة:ولايتها ومؤيدات أخرى

الجهة الثامنة: روايات أهل السنةوعموم مطالبتها بالخمس والفيء وفدك

**تقديم**

الحمد للّه فاتق الكلم جاعل الآيات مصطفي المطهرين حججاً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نذوا ًوبشوا ً الموعود باظهار دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون، وعلى أهل بيته وعترته وذوي قرابته لاسيما البضعة المطهرة المباهل بها حجّة للدين على الأمم والملل من عباد اللّه الذين يطعمون الطعام على حبهّ ويخافون يوما وًيفجروّن عين الكافور والتسنيم ويفيضون منهما على الأبرار الشاهدين للكتاب في عليين المقرّبون السابقون، الذين يمسوّن الكتاب المكنون المبين المستطر فيه كل غائبة في السموات والأرض ولا رطب ولا يابس إلا فيه..

وبعد فإن بين يدي القارىء مجموعة مقتطعة من بحث الفصل الرابع في الامامة الذي ألقيناه على عدّة من الأخوة الأفاضل في العام المنصرم، وقد حررها ونمّقها السيد الفاضل المبرّز السيد محمدّ علي الحلو أدام اللهّ تعالى بواسته العقائدية، وقد أجاد ترتيب حلقات البحث في هذه المجموعة التي اختصت بمقامات الصديقة في الكتاب والسنّة. وأرجو منه تعالى له المزيد من التوفيق والتحقيق والخدمة للدين الحنيف.

**لخمس ليال بقين من شوال**

**ذكرى شهادة الامام الصادق (عليه السلام 1421ه ق**

**محمّد سند**





**تمهيد:**

في ظل ظروف تعجُّ بالتساؤلات النابعة من شبهات عقائدية . هي في حقيقتها قديمة بالية يروّجها أعداء الإسلام ويجددها أتباعهم . يتصدّى علماءنا الأعلام للاجابة عن هذه التساؤلات، ورفع تلك الشبهات بما لا يبقى منوحة لأحد تخفى عليه حقائق الدين وأصول المذهب.

إلا أنّ أستاذنا المحقق العلاّمة الشيخ محمدّ السند حفظه اللهّ تعالى، قد تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى يبادر فيها بطرح الأسئلة والاجابة عنها متخطياً بذلك تقليدية السؤال والاجابة عليه متى ما حصل ذلك من احد، اذ تصدى إلى أن يطرح تساؤلاته على شكل بحوث قيّمة ترفع الشبهة، وتعين الباحث للمطالبة في الاستزادة من بحوث بكر لم يتطرقها أحد قبله.

والكتاب الذي بين يديك . أيها القارىء الكريم . هو احدى هذه المحاولات، اذ هو في الحقيقة اجابة لسؤال، وإن كان لم

يطرح مباشرة إلا أن الواقع العلمي لحوزتنا المباركة ـ حرسها اللّه تعالى ـ يجده ملحاً في ظل هذه الظروف العصيبة من الشبهات، والسؤال المطروح: ما هو مقام فاطمة(عليها السلام) وما هي حجّيتها وولايتها كذلك؟ وللاجابة عن ذلك، عقد الأستاذ المحقق حفظه اللّه بحوثاً جاءت على شكل بيان لمقامات فاطمية نابعة من القرآن ومفسرّة بالسنة، معتمدة في ظهوراتها على نباهة القارىء الفطن في تفتيق الحقائق من أكمامها القرآنية ومستعيناً بتفسيرات السنّة النبويةّ وأئمة الهدى صلوات اللهّ عليهم فالدراسة لا تتعدى عن محاولة قراءة الأيات القرآنية بواسطة السنّة الشريفة وصياغة كل مقام صياغة فقهية قانونية، ومحاولة معرفة البُعد الفقهي القانوني لكل آية وحديث متفّق لدى الفريقين، أي ستكون الدراسة حالة استجلاء لنصوص الفريقين وابراز كوامن ما ارتكز لديهم من مقامات الصديقة فاطمة(عليها السلام).

فالقارىء سيجد في الدراسة إعادة تنضيد الأدلّة من مظانها بما يضمن مرتكزات الفريقين، والتي لم تتُداول بهذا العمق والترتيب القانوني، إما لتسليمهم بها واعتبارها من مسلّمات وضرورات الدين، وإما أن ظروفاً ما لم تأذن بتداول مثل هذه الحقائق وبهذا الوضوح، لذا سيجد القارىء في مطاوي البحث كلمات أعلام الفريقين تُشير بشكل خفي إلى جميع هذه

الصفحة 9

المقامات وتداولها كأنها من مسلّماتهم، وهذا ما امتازت به هذه البحوث وتمكنّت من تقديم مقامات الصديقة فاطمة(عليها السلام)بطريقة تكفل الإجابة عن السؤال:

ما هي مقامات فاطمة (عليها السلام) وما هي حجّيتها وولايتها الالهية صلوات اللّه عليها وعلى آلها المعصومين.

لذا فقد دفعني الحرص على تقرير هذه الأبحاث الجليلة ليتسنى لها أن تأخذ مكانها في مواقع الدفاع عن العقائد الحقّة والإجابة عن كثير من التساؤلات التي ستثير حفيظة القارىء عند قرائته عنوان البحث لأول وهلة، وسيجد ما أمكن حِفظه في مرتكزاته العقائدية وبتقنين فقهي ـ قرآني لا محيص للباحث من متابعته والاستعانة به للانفتاح على آفاق عقائدية ـ معرفية يفتح من خلالها نافذة جديدة على بعض خصائص الصديقة الزهراء(عليها السلام)، وشخصيتها الإلهية العظيمة.

الصفحة 10

الصفحة 11

# المقام الاول

## القرآن و مقامات فاطمة (عليها السلام)

الصفحة 12

الصفحة 13

اذا كُنا في مقام البحث عن مقامات فاطمة (عليها السلام)، فانّ القرآن قد تكفلّ ذكر بعض فضائلها، اذ أمكن تتبع ما نزل

(1)

من القرآن فى شأنها (عليها السلام)، فاجتمعت أكثر من ستين آية تشهد لها بالفضل والفضيلة والمقام المنيع في الدين والأصل الأصيل فى الاعتقاد الواجب على كل مكلّف التدين به وان لها من الحقوق الجمّة اللازم التسليم بها عدا ما اشتركت مع آل البيت(عليهم السلام) من آيات صريحة، فحسبنا ما ذكره القرآن من شهادة، فهل بعد شهادة الله شهادة؟ وهل بعد تزكيته تزكية؟ فطوبى لها من ذكر خالد، وحسنُ مآب، ورفيع مقام الهي.

---

1 – كتاب صدر بعنوان: "ما نزل من القرآن فى شأن فاطمة الزهراء(عليها السلام)" أُحصي فيه أكثر من ستين آية أعدها المؤلف من مختصات فاطمة عدا ما ذكرت من آيات مشتركة مع أهل البيت(عليهم السلام). والكتاب من منشورات دار الكتاب الاسلامي قم المقدسة.





# المقام الثاني

## فاطمة (عليها السلام) و حجّيتها على الأئمة(عليهم السلام)





### الجهة الأولى: حجّيتها على الأئمة(عليهم السلام)

لما كانت علّة الخلق هي عبادة اللّه تعالى لقوله: **{وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون}**[1] فانّ العبادة لا تتم إلا بمعرفته تعالى، ومعرفته لا تتم إلا برسله وأوليائه، اذ هم حججه على العباد في كل زمان فهم الطريق اليه والمسلك الى سبيله.

عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله(عليه السلام)...قال: "انّما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وّعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشروه ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه، يُعبرّون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفى تركه فنائهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء(عليهم السلام) وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين

---

1 – الذاريات: 56 .

للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب فى شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك فى كل دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والواهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ يدل ّعلى صدق مقالته وجواز عدالته"[1].

فالحجّة اذن هو الدليل الى الله تعالى يُحذرّ به عباده وينفرهم ويهديهم.

فمقام الحجية إلهي تصل بوساطته العلوم الإلهية اللدنيّة الى عباده.

واذا كان أهل البيت(عليهم السلام) حجج الله على خلقه فانّ أمّهم فاطمة حجة الله عليهم، وهي ما صرحّت به رواية العسكرى(عليه السلام): "نحن حجة الله على الخلق، وفاطمة(عليها السلام) حجّة علينا"[2]، ويشهد لهذا المعنى ما ورد عن مصادر علومهم (عليهم السلام) كالجفر والصحيفة والجامعة، وأن منها مصحف فاطمة(عليها السلام) مما يدلّ على كونها واسطة علمية بين الأئمة(عليهم السلام)وبين اللّه تعالى في العلم المحفوظ فى مصحفها المتعلق بما يكون الى يوم القيامة، فهي حجة في هذا العلم الجم على الأئمة(عليهم السلام)يأخذون به، نظير حجية النبي(صلى الله عليه وآله)

---

1- الكافى، كتاب الحجة1: 128 .

2- تفسير أطيب البيان 13: 235 .



فى شأن القرآن الكريم الذى هو مصدر علوم الأئمة (عليهم السلام) كما في الروايات الآتية.

ولا يخفى أن وساطتها(عليها السلام) لذلك العلم ليس عبر نقش وخط ذلك المصحف، اذ الوجود الكتبي لمصحفها وجود تنزلي تنزيلي لحقائق ذلك العلم الذي ألقي إليها، فوساطتها بلحاظ عالم الأنوار لهم(عليهم السلام) فقد روى فراتى الكوفي في تفسيره، قال: حدّثنا محمدّ بن القاسم بن عبيد معنعنا ًعن أبي عبدالله(عليه السلام) أنه قال: "(انا أنزّلناه في ليلة القدر)الليلة فاطمة والقدر اللّه، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وانمّا سميت فاطمة، لأن الخلق فطموا عن معرفتها، وقوله (وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر)يعني خير من ألف مؤمن، وهي أمّ المؤمنين، (تتنزل الملائكة والروح فيها)والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد(صلى الله عليه وآله)والروح القدس هي فاطمة(عليها السلام)(باذن ربّهم من كلّ أمر سلام هي حتىّ مطلع الفجر)يعني حتىّ يخرج القائم(عليه السلام)"[1]

فقد روى زرارة عن حمران قال سألت أبا عبداللّه(عليه السلام) عمّا يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدر الله ّفيها؟ قال: "لا توصف قدرة اللّه، إلا أنه قال (فيها يفرق كل أمر حكيم) فكيف يكون

---

1 - تفسير فرات الكوفي: 581 طبعة طهران 1416هـ.

حكيماً إلا ما فُوِّق،ولا توصف قوة اللهّ سبحانه لأنه يحدث ما يشاء.وأما قوله (ليلة القدر خير من الف شهر) يعني فاطمة(عليها السلام)، وقوله (تتنزّل الملائكة والروح فيها) والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمّد(عليهم السلام)و(الروح) روح القدس،وهو في فاطمة(عليها السلام) (من كل أمر سلام) يقول من كل أمر مسلّمة (حتىّ مطلع الفجر) يعني حتّى يقوم القائم(عليه السلام)"[1] وكما هو الحال في وساطة النبي(صلى الله عليه وآله)لايصال القرآن لهم، ففي صحيحة زرارة قال: "سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول: لولا أننا نزداد لأنفدتا، قال قلت: نزدادون شيئاً لا يعلمه رسول اللّه(صلى الله عليه وآله)، قال: أما إنّه إذا كان ذلك عوض على رسول اللهّ(صلى الله عليه وآله) ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر الينا".

وفي رواية عن أبي عبداللّه(عليه السلام) قال: "ليس يخرج شيء من عند اللهّ عزوّجل حّتى يّبدأ ُبرسول الله(صّلى الله عليه وآله) ثم بأمير المؤمنين(عليه السلام) ثم واحداً بعد واحد لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا"[2] فالوساطة ليست في خصوص الوجود الكتبي للقرآن، بل في ايصال الحقائق النورية للقرآن الى أنوار أرواحهم(عليهم السلام)، فالالقاء والتلقي نوريٌ بلحاظ نشأة الملكوت المطوي في وجوداتهم وأرواحهم

---

1 – تأويل الآيات الظاهرة: 791 والظاهرة أنّه أخرجه عن تفسير محمّد بن عباس.

2– الكافي 1: 255 .



كما يشير اليه قوله تعالى: **{انّه لقرآن كريم في كتاب مكنون}**[1] .

وقد بيّن الإمام أبو عبدالله الصادق(عليه السلام) ما يتضمنه هذا المصدر العلمى الإلهى في رواية بقوله: "انّ فاطمة مكثت بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزنٌ شديد على أبيها، وكان جبرئيل(عليه السلام) يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها ويُطيبّ نفسها ويخبُرها عن أبيها ومكانه، ويخبُرها بما يكون بعدها فى ذريتها، وكان علي(عليه السلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة(عليها السلام)"[2] .

وفي رواية أخرى يبيّن الإمام(عليه السلام) جانباً آخر من جوانب ما يتضمنه هذا المصدر الالهي، ففي حديث قال أبو عبدالله(عليه السلام): "ومصحف فاطمة ما أزعم انّ فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس الينا ولا نحتاج الى أحد حتى أنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش..."[3] .

ولعل الرواية الأخرى تفيدنا جانباً آخر مما يتضمنه مصحف فاطمة(عليها السلام):

عن أبي عبدالله(عليه السلام): "الى أن قال: وانّ عندنا لمصحف

---

1 – الواقعة: 77 .

2 – الكافي كتاب الحجة باب فى ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة(عليها السلام)1: 188 .

3 – بصائر الدرجات باب فى الائمة (عليهم السلام) أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة(عليها السلام): 150 .



فاطمة(عليها السلام) وما يريهم ما مصحف فاطمة(عليها السلام) قال: قلت: وما مصحف فاطمة(عليها السلام)؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد"[1] .

وقوله(عليه السلام): "والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد" ليس المراد منه خلو القرآن الكريم عن ذلك العلم المودع فى مصحف فاطمة(عليها السلام) اذ القرآن تبيان كل شيء، بل المراد أن ليس فيه من ألفاظ وآيات وكلمات القرآن شيء، اذ علمها(عليها السلام) بذلك بنزول جبرئيل عليها هو ما سيأتي بيانه من كونها مطهرة تُمسُ القرآن الكريم فى الكتاب المكنون، واللوح المحفوظ الذي يستطرُ فيه كل غائبة ورطب ويابس وما كان وما يكون، فعلمها بذلك هو من العلم بحقيقة القرآن العلوية، لا هو شيء خارج عن حقيقة القرآن، غاية الأمر أن تلك الحقيقة بالألفاظ الموجودة بين الدفتين وما علمت به(عليها السلام)كالشرح لبطونه وحقائقه التكوينية العلوية. ويشهد لذلك رواية أخرى عن مصحفها(عليها السلام)وهي ما رواه الطوسي في دلائل الإمامة من معتبرة أبي بصير قال: "سألت أبا جعفر محمّد بن علي(عليهما السلام) عن مصحف فاطمة فقال: أترل عليها بعد موت أبيها.

قلت: ففيه شيء من القرآن.

---

1– الكافي 1، كتاب الحجّة باب مصحف فاطمة: 239 .



فقال: ما فيه شيء من القرآن.

قلت: فصفه لي.

قال: له دَفتان من زبرجدتين على طول الورق، وعرضه حمراوين.

قلت: جعلت فداك فصفه لي ورقه.

قال: ورقه من در أبيض، قيل له: كني فكان.

قلت: جعلت فداك فما فيه؟

قال: فيه خبرُ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في السموات من ملائكة وغير ذلك، وعدد كل ما خلق اللّه مرسلا وغير مرسل، وأسمائهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق اللّه من المؤمنين والكافرين من الأولين والاخرين، وأسماء البلدان وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من مؤمنين، وعدد ما فيها من كافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن وليَ من الطواغيت ومدة

ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحد واحد، وصفة كوائهم، وجميع من تردد في الأنوار.

قلت: جعلت فداك وكم الأنوار؟

قال: خمسون الف عام، وهي سبعة أنوار فيها أسماء جميع ما



خلق اللّه وآجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الانجيل كما أنزل، وعلم الزبور وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد.

قال أبو جعفر: ولما أراد اللّه تعالى، أن ينزل عليها جبرئيل وميكائيل واسرافيل أن يحملوه فينزلون بها عليها، وذلك في ليلة الجمعة، الثلث الثاني من الليل، فحيطوا به وهي قائمة تصلي، فمازالوا قياماً حتّى قعدت، ولما فرغت من صلاتها سلمّوا عليها، وقالوا: السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف في حجرها.

فقالت: للّه السلام ومنه السلام، واليه السلام، وعليكم يا رسل اللّه السلام.

ثم عرجوا إلى السماء. فمازالت بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتّى أتت على آخره، ولقد كانت(عليها السلام) مفروضة الطاعة على جميع ما خلق اللّه من الجن والانس والطير والوحش والانبياء والملائكة.

قلت: جعلت فداك، فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيها.

قال: دفعته إلى أمير المؤمنين، فلما مضى صار إلى الحسن(عليه السلام)ثم الحسين(عليه السلام) ثم عند أهله حتّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر(عليه السلام).

فقلت: انّ هذا العلم كثير.



قال: يا أبا محمّد انّ هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت بعد في الورقة الثالثة[1] ولا تكلمت بحرف منه[2]".

ويجدر التنبيه إلى أن اختلاف ألسن الروايات في كيفية مصحفها امّاراجع إلى تعدد صحفها(عليها السلام) أو الاختلاف في أبعاض المصحف الواحد أو وجوه أخرى لا تخفى على القارىء بعد ملاحظة مجموع الكلام في هذا المقام. ويدلّ على ظاهرها ومفادها من اشتمال مصحفها على كل صغيرة وكبيرة ورطب ويابس وجميع ما خلق مما كان وما يكون وما هو كائن، وعلوم الكتب السماوية وكما سيأتي في المقامات اللاحقة من كونها مطهرة كما في سورة الأحزاب، والمطهّر كما في سورة الواقعة يمس حقيقة القرآن العلوية المكنونة في الكتاب واللوح المحفوظ الموصوف بأنّه تبيان لكل شيء كما في سورة النحل، وهو الكتاب المبين كما في سورة الدخان، والكتاب المبين وهو الذي يستطر فيه كل غائبة في السماوات والارض كما في سورة النمل، وكل ما في البرّ والبحر وكل رطب ويابس كما في سورة الانعام، فمضمون هذه الرواية مما دلّت عليه تلك الآيات مضافاً إلى كون القرآن هو الكتاب المهيمن على بقية الكتب السماوية،

1- في نسخة الثانية بدلاً من الثالث.

2 - دلائل الإمامة للطوي: 27 .



فهو يحيط بها، فالذي يمسُ حقيقته العلوية تتنزل عليه مثل تلك الحقائق.

وفي رواية ثالثة قال أبو عبدالله(عليه السلام): ".. وليخرجوا مصحف فاطمة فانّ فيه وصية فاطمة"[1] .

فلم يكن مصحف فاطمة عليها السلام مصدراً لجانب علمي معيّن، بل يعم ّعلوما عًدة أشار لبعضها الإمام(عليه السلام) كالحوادث الواقعة الى يوم القيامة أي ما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة، فضلاً عن الأحكام التي يتضمنه مصحفها ليشمل حتى إرش الخدش، على أنا لا نغفل عن قول الامام(عليه السلام) من انّ مصحف فاطمة فيه وصيتّها (عليها السلام)، ووصيتها هذه تتضمن أمراً خطراً هاما لًم يصرح به الامام إلا انه ّيشعُر من كلامه مدى خطورة وصيتها ّ هذه، اذ قوله(عليه السلام) "وليخرجوا مصحف فاطمة" نوع تهديد وتحدي لبعض الجهات يكمن من خلاله أن في وصيتها (عليها السلام) توصيات الهية تعيّن الامام الذي امامته من عند الله تعالى، فالإيصاء بإمامة الأئمة (عليهم السلام)، مما يدل على أن العهد بإمامة الأئمة(عليهم السلام) من ذريتها هو من شؤونها(عليها السلام) اذ متعلق الوصية لابد أن يكون ممّا يشملهولاية الموصي، ومن ثم كان الإمام السابق يوصي بإمامة اللاحق، وكوصية النبي(صلى الله عليه وآله) بإمامة علي(عليه السلام) والأئمة من ولده(عليهم السلام) ويصرّح

1- المصدر السابق: 157 .



بهذا المقام لها (عليها السلام) النص الوارد في نزول اللوح الأخضر عليها المتضمن لتعيين أسماء الأئمة(عليهم السلام)، ومن ثمّ يصح أن الائمة من ذريتها أوصياء لها كما هو الحال فى كون الامام اللاحق وصي الامام السابق، وكما ورد في زيارة الحسين(عليه السلام) وزيارة الرضا(عليه السلام)"السلام عليك يا وارث فاطمة..." الدال على وراثة إلهية بينها وبين الأئمة وعلى الاجمال فإن مقام الوصاية بالامامة مقام خطير إلهي نظير ما كان لمريم بنت عمران من مقام حيث ألقي اليها كلمة الله عيسى، وكان لها مسؤولية البشارة بنبوّة عيسى للناس.

مما يعني أن لمصحف فاطمة(عليها السلام) شأناً في تحديد منصب الامامة الإلهية، ويدلل فى الوقت نفسه ما لفاطمة (عليها السلام) من صلاحية خاصة في تحديد معالم القيادة الاسلامية المتمثلةزعامتها الحقة في إمامة المعصومين (عليهم السلام) ويؤكد كذلك عِظم حجيتها(عليها السلام) في أخطر شأن من شؤون الدين والأمة وهو تحديد مناصب الإمامة الالهية، علماً انّ هذا التحديد سيكون على مستوى الوصية الالهية التي تلقى الى النبي(صلى الله عليه وآله) ليحمّلها فاطمة(عليها السلام)، ومن

هنا سنرى مدى خطورة مسؤوليات فاطمة(عليها السلام)في رسم مبدأ مسار الأمة ومنتهاه الى يوم القيامة، وسيتّضح انّ من هذا القبيل أمراً خطيراً ومهماً، وهو مدى أهمية موقف فاطمة(عليها السلام)إبانّ أحداث البيعة وتوجهات السقيفة، واعلان استنكارها لما



أقدمت عليه جماعة السقيفة وقتذاك، اذ يعني استنكار فاطمة (عليها السلام)على ما أقدم عليه القوم مخالفتهم للمسار الذي جعله الله تعالى ورسمه لهذه الأمة ما تعاقبت أجيالها بحسب ما عهد اليها (عليها السلام) من وصية في تعيين الامام وهو ما تكفّله مصحف فاطمة(عليه السلام) وستؤكد الرواية التالية ما نذهب اليه من أن هذه الوصية هي وحي إلهي ألقي الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وألقاه إليها(عليها السلام).

قال ابو عبدالله(عليه السلام) في حديث: "... وخلّفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزُل عليها، املاء رسول الله وخط علي(عليه السلام)" [1].

مضمون هذه الرواية أن بعض مصحفها هو من إملاء الرسول(صلى الله عليه وآله)بعد وفاته على فاطمة(عليها السلام) لا من نزول جبرئيل عليها نظير الرواية المتقدمة في أصول الكافي من أن ما ينزل من العلم المتجدد من الله تعالى على الامام الحي القائم بالأمر يتنزل أولاً على رسول الله(صلى الله عليه وآله) في نشأته الاخروية ثم على أمير المؤمنين(عليه السلام)ثم على الإمام اللاحق فاللاحق الى أن يصل فى تنزله على الامام الحي القائم بالأمر...

مما يدلل على وساطة النبي(صلى الله عليه وآله) في علوم المعصومين (عليهم السلام)اللدنية منه تعالى، وفي الرواية اشارة الى أن علياً(عليه السلام) كان يخط ما

---

1 - بصائر الدرجات: 156 .



يمليه ويلقيه له بالنبي(صلى الله عليه وآله) في تلك النشأة على فاطمة(عليها السلام)، وهذا نظير ما كان من شأن علي(عليها السلام) من أنه كان يسمع ما يسمعه النبي(صلى الله عليه وآله) من الوحي ويرى ما يراه النبي(صلى الله عليه وآله) كما ورد ذلك في روايات عديدة وكما نقل(عليه السلام) ذلك عن النبي(صلى الله عليه وآله) قوله "انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي" في آخر الخطبة القاصعة من نهج البلاغة، ويقتضيه مفاد حديث المنزلة "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى" اذ كان ما ينزل على موسى يسمعه ويراه هارون كما هو مفاد الآيات الكريمة المشتركة بينهما فيما ينزل: فالذي ينزل هو على فاطمة(عليه السلام)، لكنه يسمعه علي(عليه السلام)، ونظير ما سيأتي من نزول الملائكة على مريم بل والوحي المباشر من الله تعالى لها، مع أنها لم تكن نبياً ولكن كانت آية من حجج الله تعالى. ثم أن في التصريح بأن ما نزل عليها كلام من كلام الله تعالى القدسي غير القرآني، تبيان لمقام حجيتها الإلهية.

على أن مصحف فاطمة هو أحد دلائل إمامة الامام عند حيازته له.

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: "ما مات ابو جعفر(عليه السلام) حتى قبض مصحف فاطمة(عليها السلام)"[1].

فمصحف فاطمة أحد المنابع العلمية التي يتزود منها الامام

---

1- نفس المصدر: 158 .



إبّان مهمته الإلهية، فضلاً عن كونه أحدى دلائل إمامته الحقةّ.

من هنا تبيّن أن حجية فاطمة (عليها السلام)على أبنائها الحجج المعصومين(عليهم السلام)، فهي الواسطة العلمية بين الله تعالى وبين الأئمة (عليهم السلام)ومن خلال العلم المحفوظ في مصحفها المتعلق بما يكون الى يوم القيامة، فحجيتها نظير حجية النبي(صلى الله عليه وآله) في شأن القرآن المجيد الذي هو مصدر علوم الأئمة(عليهم السلام) كما هو المقرر.

كما تؤكد أن العلم الذي يتلقونه (عليهم السلام) عن مصحف فاطمة غير مقتصر على ما نقش من وجود كتبي في ذلك المصحف، بل هذا الوجود الكتبي تتولي تتويلي لحقائق ذلك العلم الذي أُلقي عليها كما تقدم، فوساطتها اذن بلحاظ عالم الأنوار لهم (عليهم السلام)، ويشهد لوساطتها لعلومهم وحجيتها روايات بدء الخلقة وخلقة أنوارهم واشتقاقها على الترتيب من نور النبي(صلى الله عليه وآله) ونور علي، ثم اشتقاق نور الحسنين من نورهم مما يدل على كون رتبتها بعد علي أمير المؤمنين(عليه السلام)، وأن بقية أنوار الائمة(عليهم السلام)أُشتقت منها فهي واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكمالاتهم وهو مقام رفيع وسرّ عظيم.

ففي حديث عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) مسنداً عن سلمان قال: "دخلت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلماّ نظر اليّ قال: يا سلمان انّ الله عزوّجل لم يبعث نبياولارسولا إلاّ جعل له اثني عشر نقيبا، قاًل:



قلت: يارسول الله قد عرفت هذا من الكتابين[1] قال: يا سلمان فهل علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا سلمان خلقني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه الى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي(عليه السلام) فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه، فسمّانا الله عزوّجل بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الاحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين.

ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضاً مدحية، أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكلنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع"[2].

فالخلقة والاصطفاء كما جرى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي (عليه السلام)، جرى مثله على فاطمة (عليها السلام)، وهذا لعمري مقام خطير وشأن رفيع.

كما أن اشتقاق نور علي من نور محمد ونور فاطمة من نور علي ونور الحسن والحسين من نور فاطمة وأنوار التسعة من

---

1 - أي التوراة والانجيل .

2- البحار 25: 6 .



ذرية الحسين من نور الحسين، دلالة على ترتيب النورانية وكون المتقدم واسطة فيض للمتأخر، لذا فانّ فاطمة (عليها السلام) تُعد واسطة فيض نورانية للأئمة (عليهم السلام) لتقدمها عليهم بالنورانية، وهذا معنى كونها واسطة إفاضة على أولادها المعصومين (عليهم السلام) فهي بالتالي حجّة عليهم.

ومما يؤكد أنهم من نور واحد ما روي عن الرضا صلوات الله عليه: "..انّ الله تبارك وتعالى أوحى الى عمران: أني واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم ومريم من عيسى، ومريم وعيسى شيء واحد، وأنا من أبي، وأبي مني، وأنا وأبي شيء واحد"[1] .

فاذا كان عيسى من مريم ومريم من عيسى شيء واحد، فكيف بمن كانوا أنواراً يسبّحون الله قبل الخلق بألفي ألف عام؟

عنهم (عليهم السلام): "انّ الله خلقنا قبل الخلق بألفي ألف عام، فسبّحنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا"[2] .

فهم (عليهم السلام) من فاطمة، وفاطمة منهم.

وهذا دليل قولنا: أنها (عليها السلام) واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكمالاتهم صلوات الله وسلامه عليهم وعلى أمّهم سيدة نساء العالمين.

---

1- البحار 25: 1 .

2- نفس المصدر.



فيتلخص بذلك وجهان لمقام حجّيتها على الأئمة (عليهم السلام):

الأول: كون مصحفها مصدر من مصادر علوم الأئمة (عليهم السلام) ومعنى ذلك وساطتها العلمية المنصوبة من قبله تعالى للائمة.

الثاني: اشتقاق نورهم (عليهم السلام) من نورها في بدء الخلقة وهو يستلزم مقام الحجية لهيمنة المتقدم على اللاحق.

**الجهة الثانية: حجّيتها على الأنبياء الموسلين**

ويدلّ عليه من الكتاب بوجهين:

الأول: كونها مطهّرة تمسُ الحقيقة العلوية الملكوتية للقرآن الكريم في اللوح المحفوظ كما تقدمت الاشارة إلى السور القرآنية الدالة على ذلك،وكما سيأتي في مقامات أخرى لاحقة والذي يُحيط بعلم الكتاب المهيمن على بقية الكتب السماوية السابقة يفضل على أصحاب تلك الكتب، حيث وصفت توراة موسى بأن فيه تبيان من كل شيء لا تبيان لكل شيء، فضلاً عن بقية الكتب.

الثاني: قوله تعالى **{وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا انّك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من**



**الكافرين}**[1]

وقوله تعالى: **{قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لِما خلقت بيدي أَستكبرت أم كنت من العالين}**[2].

فظاهر هاتين الآيتين والتي استعرضت كذلك في سور أخرى، من أنّ هذه الأسماء كانت موجودة حيّة شاعرة عاقلة، لأن الضمير واسم الإشارة المستخدم في الآيات المزبورة عائدة إلى العاقل الحي الشاعر، ومقتضى حصول آدم على شرف الخلافة الالهية واسجاد الملائكة كلهم أجمعون خاضعين طائعين له كان بسبب تشريفه بالعلم بتلك الموجودات الحيّة الشاعرة، مما يفضي بشرافة مقام تلك الموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة على مقام آدم فضلاً عن جميع الملائكة، ومما يقضي أن خلفاء اللهّ من الانبياء وجميع الموسلين أوصيائهم الذين يندرجون تعاقباً في قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة انيّ جاعل في الأرض خليفة) انّما يشرفون ويؤهلون بمقام الخلافة الإلهية في الأرض، انّما هو بتوسط تشريفهم بالعلم بتلك الوجودات الحيةّ الشاعرة العاقلة، والتي أشار اليها تعالى في سورة ص بالعالين لأنّه تعالى حصر ما سوى آدم في قوله (أستكبرت أم كنت من

---

1 – البقرة 31 – 34 .

2– طه: 75 .



العالين)كونه دون آدم فيكون عدم سجود ابليس استكباراً، أو هو من العالين الذين لا يخضعون لآدم ولا لطاعته بل يفوقونه، وليس أولئك إلا الموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة الذين بركتهم شرف آدم بذلك المقام،فكيف يكونون دونه خاضعين وطائعين له؟

ومقتضى وصف اللّه تعالى لعلم آدم بتلك الموجودات بأنه غيب السملوات والأرض ولأجل ذلك لم تحط الملائكة علماً بتلك الموجودات لأنها بالنسبة إلى السملوات والأرض غيب أي ليست مشهودة فيها، ومقتضى كل ذلك كون تلك الموجودات الشاعوة الحيّة العاقلة هي من الأنوار المخلوقة قبل السملوات والارض قبل الملائكة وقبل آدم، وهو قوله(صلى الله عليه وآله): "أول ما خلق اللّه نور نبيك يا جابر" وان تلك الأنوار الحيّة الشاعوة العاقلة ليست هي نور آدم ولا نور الأنبياء والموسلين، وإلا لكان آدم عالماً بذاته ولما احتاج أن يعلم بموجودات غير ذاته، وكذلك لما احتاج بقية الأنبياء والموسلين في استخلافهم عن اللّه في الأرض إلى تعلّم تلك الأسماء مع أن الآيات قاضية بأن مقام الخلافة الإلهية عن اللهّ انما يستأهلها افواد البشر من الأنبياء والموسلين والذي كان آدم هو المصداق الأول انّما يستأهلونها بالعلم بتلك الموجودات كسنّة إلهيةّ دائمة كلية في مقام جعل الخليفة في الأرض.



وهذا المفاد لهذه الآيات متطابق للروايات الواردة عنهم(عليهم السلام)في ذيل هذه الآيات، وقد تضمنت تلك الروايات التنبيه على دلالةوظهور الآيات على مثل ذلك وانّها في الأنوار الخمسة(عليهم السلام)كما في روايات اشتقاق النور كما تقدم وسيأتي مفصلاً كذلك.

أمّا من السنّة:

فالأول: فهي روايات بدء الخلقة الآنيّة حيث دلّت على أن ّأول ما خلق نور سيد الوسل(صلى الله عليه وآله) ثم نور علي(عليه السلام) ثم نور فاطمة(عليها السلام) ثم الحسنين(عليهما السلام) ثم نور التسعة من ذرّيّة الحسين(عليهم السلام) مما يدلّ على تقدم خلقتهم النورية على سائر الأنبياء والوسل وبالتالي حجيّة تلك الأنوار عليهم صلوات اللهّ عليهم .

الثاني: أخذ ولايتها وطاعتها على الأنبياء، وهو مستفاد من الوجه الثاني المتقدم في الكتاب، وقد تقدم في رواية دلائل الإمامة حول مصحف فاطمة(عليها السلام)عن أبي بصير وقوله(عليه السلام): "ولقد كانت(عليها السلام)مفروضة الطاعة على جميع من خلق اللّه من الجن والانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة"[1] ، وفي رواية بصائر الدرجات عال اسنادها عن حذيفة بن أسعد قال: "قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله): ما تكاملت النبوّة لنبي ّفي الأرض حتىّ عرضت عليه ولايتي

---

1- دلائل الإمامة: 27 .



وولاية أهل بيتي(عليهم السلام)فمثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم"[1] .

الثالث: ما روي من قولهم(عليهم السلام) "لولا أنّ أمير المؤمنين تزوجها لما كانت لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه"[2] .

وقد أشار إلى ذلك المجلسي(رحمه الله) بقوله: انّه يستدلّ به على كون علي وفاطمة(عليهما السلام) أشرف من سائر أولي

العزم سوى نبيّنا(صلى الله عليه وآله)إلى غير ذلك من الوجوه الروائية التي لا مجال لهذا المختصر من ذكرها.

---

1 – وقد أورد المجلسي باباً ذكر فيه ستيّن رواية ذكر فيها تفضيلهم(عليهم السلام) على الأنبياءراجع البحار 26: ص267

.

2– البحار 43: 10 .





# المقام الثالث

## مريم بنت عمران مثل ضربه الله لفاطمة(عليها السلام)



قال تعالى: **{ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين}**[1] .

عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنّه قال: "ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها مثلاً ضرب الله لفاطمة(عليها السلام) وقال: انّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار"[2] .

وقبل ذلك، لابد من التنبيه الى قاعدة في باب المعارف أشارت اليها روايات أهل البيت(عليهم السلام) وهي أن ما ذكر في القرآن الكريم من الأنبياء والرسل والأوصياء والحجج وما لهم من مقامات ومناصب وشؤون إلهية ان من غاياته المهمة كونه مثلاً ضربه الله تعالى لمقامات وشؤون النبيّ وأهل بيته (عليهم السلام)، وهذه القاعدة باب ينفتح منه أبواب عديدة.

فالمماثلة بين حالتي فاطمة(عليها السلام) وبين مريم(عليها السلام) تتم من وجوه قرآنية . قرآنية أي ستكون المقارنة بينهما على أساس استقراء

---

1 – التحريم: 12 .

2 – البرهان في تفسير القرآن: 3:245 .



قرآني للآيات الواردة في مقامات مريم (عليها السلام) وبين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في مقامات فاطمة(عليها السلام) لنجد مدى الترابط الوثيق ووضوح المشتركات التي تؤهّل الباحث من متابعة أوجه التشابه بين المقامين.

## مقامات السيدة مريم (عليها السلام)

اذا كانت مريم(عليها السلام) قد فضّلها الله بكمالات تقرب كمالات الأنبياء والرسل وهي سيدة نساء عالمها فكيف بسيدة نساء العالمين من الأولين والأخرين فاطمة بنت محمد صلوات الله عليها.

عن المفضل بن عمر قال: "قلت لأبي عبدالله(عليه السلام) أخبرني عن قول رسول الله في فاطمة: أنها سيدة نساء العالمين، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال: تلك مريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين"[1].

والمراد من قوله تعالى **{انّ اللّه اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين}**[2] ليس مطلق العالمين إلى يوم القيامة، بل هو عالم زمانها بقرينة نظير قوله تعالى في بني اسرائيل

---

1 – دلائل الامامة للطبري 540 مؤسسة الاعلمي بيروت.

2 – آل عمران: 42 .



**{اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنّي فضلتكم على العالمين}**[1] وقوله تعالى على لسان موسى خطاباً لبني اسرائيل **{قال أغير اللّه أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين}**[2] وكذا قوله تعالى **{ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين}**[3] وقوله تعالى **{ولقد اخترناهم على علم على العالمين}**[4] فانّه ليس المراد تفضيلهم على كل الأمم وانمّا المراد بها تفضيلهم على عالمين زمانهم لقوله تعالى **{كنتم خير أمّة أخرجت للناس}**[5] وقوله تعالى **{وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً}**[6] مما يعني أنّ هذه الأمة هي أفضل من بني اسرائيل مما يعني أنّ هذه الأمة وانٍ أريد منها بعض الأمة الاسلامية، مضافاً إلى ما سيأتي من دلالة الآيات من افضلية مقامات الزهراء(عليها السلام)على مريم(عليها السلام).

فالمراد إذن من اصطفاء مريم على العالمين هو عوالم الأمم من العرقيات والأقوام والملل والنحل التي كانت تعيش في

---

1 – البقرة: 7و122 .

2 – الاعراف: 140 .

3– الجاثية: 16 .

4– الدخان: 32 .

5 – آل عمران: 110 .

6 – البقرة: 143 .

زمانها من شوق الأرض وغوبها.

ولكي نستوأ مقامات فاطمة (عليها السلام) يجدر بنا أن نتعرض للاشارات القرآنية عن مقام مريم (عليها السلام) ليتبيّن لنا مقامات سيدة نساء العالمين، عندها فلا تكون أية غرابة فيما تعتقده الامامية من مقامات فاطمة(عليها السلام)وسيتبين من النصوص القرآنية النازلة فيها انّ تلك المقامات حاصلة للصديقة(عليها السلام)، بغض النظر عن الاولوية المتقدمة ويكون ما ورد في مريم(عليها السلام) ما هو إلا مبين ما قد ورد فيها(عليها السلام)وستكون الأولوية حاكمة في معرفة وبيان مقاماتها بعد ذلك.

## أولاً: مريم وتحديث الملائكة لها

ان ما ذكرناه من الاشارة الى مصحف فاطمة (عليها السلام) وكيفية نزول جبرئيل عليها ليسليها بمصاب أبيها بعدما دخلها من الحزن الشديد، لم يكن ذلك إلا حالة من حالات الوحي، إلا أنه وحي غير نبوي أثبته القرآن في مواضع عديدة لرجال ونساء كاملين في مقام الحجية لقوله **{ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً}**[1] ومعلوم أن ما وقع لمريم (عليها السلام)من وحي هو قسم أعظم من نزول جبرئيل(عليه السلام) وذلك لحصول القسم

---

1 – الشورى: 51 .



الأول لها مضافاً الى الثالث كما أن تقديم ذكره في الترتيب في قوله تعالى (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً)لشرفيته على القسمين الثاني والثالث وهو الايحاء من وراء حجاب ولرسال رسول يوحي باذن الله تعالى، والشاهد على حصول الأول لها قوله تعالى: (قالت ربّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون ويعلمه....)وفاعل قال ههنا هو الله تعالى لأنها وجهت قولها مخاطبة الله تعالى متصلاً بالآيات السابقة في سورة آل عمران (اذ قالت الملائكة يا مريم ان اللّه يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة...)ففي الآيات السابقة الاشارة الى نزول الملائكة عليها وقولها لها بالبشارة. ويشهد لكون الخطاب والقول هو من الله تعالى في الآية المزبورة، أن القول لم يكن من جبرئيل كما قد يتوهم اذ أن تمثّل جبرئيل لها والذي تستعرضه سورة مريم كان بعد مدةزمنية فاصلة عن نزول الملائكة بالبشارة، ويشهد لذلك أيضاً أن مريم(عليها السلام)أعادت تعجبها (قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّاً قال كذلك قال ربك هو علي هينوّ لأجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا)من دون توجيهه الى الله تعالى، وكانت اجابة جبرئيل لها بتذكره لجواب الله تعالى المتصل ببشارة الملائكة



في سورة آل عمران. وعلى ذلك فيظهر من سورة آل عمران أن الوحي الذي حصل لمريم بُعيد الوحي بتوسط الملائكة

بالبشارة، هو من الوحي بدون وساطة الرسول الملائكي ولم يكن تكليماً من وراء حجاب أي أنه من النمط الأول من أقسام الوحي المشار اليه في سورة الشورى وهو أعلى أنماط الوحي كما يدلّ عليه الترتيب الذكري، وهو لا يحصل في الغالب إلا للأنبياء المرسلين من طبقة أولي العزم وفي بعض حالاتهم. فهذه منقبة ومقام عظيم يتلوه القرآن الكريم لمريم بنت عمران. كما أن مفاد الوحي لمريم هو ابلاغها بنبوّة عيسى وبعثته بشريعة الانجيل، فكان تصديقها بكلمات الله وكتبه بتوسط الوحي الذي حصل لها، لا عبر نبيّ مرسل وهو زكريا(عليه السلام) أو يحيى(عليه السلام) وقبل تولدّ ابنها النبي عيسى(عليه السلام)، فكانت قد أوكل اليها مسؤولية ابلاغ نبوة عيسى(عليه السلام) الى الملأ من قومها، وهذا نظير ما ورد في الصديقة الزهراء(عليها السلام) من نزول اللوح الاخضر عليها المتضمن لأسماء الائمة (عليهم السلام)وما ورد من أن مصحفها(عليها السلام)متضمن للوصية بالامامة في ذريتها. كما أنها كانت محدثة من قبل الملائكة كما كانت مريم مع أنها ليست بنبي، وقد روى الصدوق في علل الشرائع عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام) قال:



"سمعت أبا عبدالله(عليه السلام)يقول: انّما سميت فاطمة(عليها السلام)محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء تناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة انّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها قالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: ان مريم كانت سيدة نساء عالمها وان الله عزّوجل جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين"[1].

على أن مريم أوحي اليها وكلّمتها الملائكة ولم تكن نبياًّ ولا رسولاً، فالتحديث لم يقتصر اذن على نبوية الموحى اليه، بل يكفي ذلك أن يكون من حجج الله تعالى كما هو الحال في مريم(عليها السلام) اذ كلّمتها الملائكة وحدثّتها بالبشارة، وقد دلتّ مجموعة آيات على تحديثها منها:

قوله تعالى: **{واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً، قالت إنيّ أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا، قال انماّ أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيًا، قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا، قال كذلك قال ربّك هو عليّ هينّ ولنجعله آية للناس ورحمة منا وّكان أمرا مقضياً}**[2].

---

1 – علل الشرائع للصدوق: 183 .

2 – مريم: 16 – 21 .



محاورة بين مريم وبين الوحي تُبيّن الاصطفاء الالهي المقدس الذي حضيت به مريم(عليها السلام)، فتمثلّ جبرئيل بشراً سوياً ليلُقي لها البشارة من الله تعالى ويكشف ذلك عن الدرجة التي بلغتها مريم كحجة من حجج الله تعالى، اذ التمثلّ هذا نظير [1]

التمثّل الذي حدث لابراهيم(عليه السلام) عند اتيانه البشارة كما في قوله تعالى: **{ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى}** فكان البشارتين كانتا في سياق واحد، وهو منح ابراهيم اسحاق ويعقوب نبيين، كما منحت مريم (عليها السلام) عيسى نبياً مرسلاً، فالتشابه في مهمتي نبي الله ابراهيم لتلقيه البشرى في اسحاق ويعقوب كمهمة مريم في تلقيها البشارة الالهية في عيسى(عليه السلام)، وهذه البشارة الالهية لها دلالاتها الخطيرة في مهام المبشر فضلاً عن المبشَّر به.

على أن حالتي التمثّل لدى نبي الله ابراهيم(عليه السلام) هي نفسها حالة التمثل التي حصلت لمريم (عليها السلام)، والتمثل لم يكن تغيّراً في المتمثل حقيقة، بل هو تغير في ظرف الادراك، فلا تغير اذن في الخارج ولا في نفس الماهية الملكية للوحي.

ومن هنا سيتبيّن عِظَمَ مسؤولية مريم (عليها السلام) من كونها في مصافي الانبياء، وممن هداهم الله واجتباهم من غير النبيين وهي مريم (عليها السلام)التي تحتل مقام الحجية لله تعالى بما يقارب حجية

---

1 – الشورى: 70 .



الأنبياء إلا في خصوصيات النبوّة والرسالة.

ولم تقتصر حالة التكليم للملائكة من قبل مريم، بل تترقى الى الوحي المباشر مع الله تعالى مع أن وحي الله تعالى كان قبل تمثّل جبرئيل لها.

قال تعالى حكاية عن مريم: **{قالت ربّي أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكون}**[1] .

فالوحي الالهي المباشر الذي حظيت به مريم(عليها السلام) يكشف عن خطورة المنزلة التي تحتلها مريم(عليها السلام)، اذ الوحي الالهي المباشر لا يختص به إلا بعض الأنبياء وفي أوقات خاصّة، وهذا نظير ما حدث لزكريا(عليه السلام) حين كلّمته الملائكة وبشرته بيحيى ومن ثم كان وحي الله تعالى له مباشرة يكشف عن حقيقة مهمة، وهي تشابه حالتي زكريا ومريم في تلقي البشارة وتكليم الملائكة لهما ومن ثم تكليمها الله تعالى، فحالتا الاصطفاء والبشارة كما حدثت لنبي الله زكريا حدثت مثلها وفي ظرف زماني متقارب لحجة الله مريم(عليها السلام)، دليل على التقارب بين مهمتي المقامين، أي مقام النبوّة لزكريا، ومقام الحجية لمريم، والآيات التالية تتكفّل ببيان المقام، قال تعالى:

---

1 – آل عمران: 47 .



**{فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب انّ الله يبُشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين، قال ربّ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء}**[1] .

فتوارد النظائر في الحالتين دليل على وجود ترابط ظاهر أو خفي بين حالتي نبوّة زكريا وحجية مريم (عليها السلام)، والنظائر الواردة في الآية للحالتين كما يلي:

اتيان البشارة لزكريا وتكليمه الملائكة أثناء عبادته لله تعالى فقال تعالى: **{فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب}**[2].

كما أن البشارة لمريم وتكليمها الملائكة حين قيامها لله تعالى منتبذة قومها قائمة لله قال تعالى **{واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سوياً}**[3].

وتكليم نبي الله زكريا لله تعالى بلا واسطة، قال تعالى حكاية عن زكريا: **{قال ربّي انّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء}**[4]

---

1 – آل عمران: 38 – 40 .

2 – آل عمران: 38 .

3 – مريم: 15 – 17 .

4 – آل عمران: 40 .



وهو نظير ما حدث لمريم(عليها السلام)، قال تعالى حكاية عن مريم: **{قالت ربّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء}**[1].

فكلاهما عرضا مقتضي الامتناع عن قابليتهما لبشارة الغلام، اذ احتج زكريا كون امرأته عاقراً غير مقتضية للحمل وهي في هذا السن المتقدم، ومريم احتجت بكونها غير قابلة للحمل لعدم امكان ذلك من دون زوج، وكان جوابه تعالى لهما واحداً: (قال كذلك الله يفعل ما يشاء)مما يدل على وحدة المقام لكلا الحالتين حالة زكريا وحالة مريم فضلاً عن ارتباط المهمتين، والتشابه بين البشارتين تتكفله سورة مريم، قال تعالى: **{انّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله}**[2]. على أنا لا نغفل عما تقدم من دعاء زكريا من كون دعائه في طلب الولد كان معللاً بخوفه الموالي من بعده أن لا يحسنوا خلافته، اذ كان زكريا مشفقاً على دعوته أن لا يخلفها أحد من بعده، فهو سيخلف من ورائه موالي سوء، لا يحسنون خلافته في دعوته فضلاً عن وراثته مما ترك، مما يعني أن يحيى سيواجه خطر التنافس على وراثة أبيه فضلاً عن عدم التصديق به من قبل قومه ومواليه، وكون هؤلاء يتحينون

---

1 – آل عمران: 47 .

2 – آل عمران: 39 .

موت زكريا ليتوثّبون على خلافته، وسيكون لمريم وابنها أثراً مهماً في تأييد دعوة يحيى وتصديقه، إتماما لرسالة زكريا ودعوته وحفظهما من الضياع الذي سيؤل اليه تنافس قومه، فمريم(عليها السلام)سيكون موقفها موقف المدافع والمصدّق لرسالة زكريا في حفظ يحيى من تكذيب قومه ووثوبهم على خلافته، لكونهما يشتركان في نفس المهمة.

وسيأتي التماثل بين فاطمة وبين مريم في مقامي الحجية، فانّ فاطمة(عليها السلام) أيضاً أثبتت بحجيتها خلافة رسول الله(صلى الله عليه وآله)المتمثلة في علي بن أبي طالب(عليه السلام) إبّان صراعها ومدافعتها المتوثبون للخلافة حيث تحفزوا أن يخرجوا وراثة الرسول(صلى الله عليه وآله)من آله عليهم السلام، تماماً كما تماثلت ظروف وراثة زكريا وما آلت اليه الخلافة الالهية ليحيى حيث قتلوه ونكلوا به أخراً.

## حجية مريم بنت عمران (عليها السلام)

وحجية مريم صرّح بها القرآن بقوله تعالى **{وجعلنا ابن مريم وأمّه آية}**[1] والآية هي الحجة أي جعلنا عيسى وأمّه حجة، عن يحيى بن أبي القاسم عن أبي عبدالله(عليه السلام) في قول الله

---

1 – المؤمنون: 50 .



عزّوجل(وجعلنا ابن مريم وأمّه آية) قال: **{أي حجّة}**[1] ، فحجيّتها (عليها السلام) في عوض حجية ولدها نبي الله، بل حجيتها سبقت حجية عيسى، كما أن حجية عيسى تلت حجيتها زماناً واقتضاءً.

فالترتب الزماني بين الحجتين ظاهر، اذ كان تكليم الله لها وكذلك الملائكة قبل ولادة عيسى بفترة، على أن السبق الزمني لا يكون بالضرورة لخصوصية معينة، وانّما هي أشبه بحالات رهاص لنبوة عيسى(عليه السلام)ولا شك أنها خصوصية عظيمة ومقولة رفيعة. فقوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمّه آية)أي انّ المسيح وأمه كليهما من أصول الديانة المسيحية بل من الاعتقادات اللازم الاعتقاد بها عند المسلمين أيضاً لوجوب الايمان بكل كلمات الله وآياته وكتبه ورسله وآياته وحججه لقوله تعالى **{آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربّه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرقُ بين أحد من رسله}**[2] ، أي انّ مريم(عليها السلام) من الحجج الالهية. كما سيأتي بيان الآيات الأخرى المفسرة لمعنى كونها آية.

كما أنها مقتض لنبوّة عيسى(عليه السلام) لكونها قد حضيت بتكليم

---

1 – البرهان 3: 113 .

2 – البقرة: 285 .



الله تعالى فضلاً عن تحديث الملائكة لها، وتلقيها البشارة كما أن تبتلها ومقامها وفضلها كان احدى مرتكزات بني اسرائيل [1]

كما يشير الى ذلك قوله تعالى **{وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم}** وقوله **{وأنبتها نباتاً حسناً وكفلّها زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا}**[2] مما أكد على مصداقيتها لديهم فكان قبول معجزة عيسى ونبوّته بعد ذلك احدى موجبات حجيتها لديهم، لذا فان أخيارهم وعقلائهم قبلوا المعجزة وسلّموا لها، وبقي جهالهم وطغاتهم يخوضون في بهتانها وايذاءها وهو شأنهم.

فأمُر الله تعالى لها بتحمل مسؤولية الانجاب بطريقة المعجزة من دون زوج احدى مقتضيات نبوةّ عيسى وشريعته المباركة، فحجيتها(عليها السلام)هي من حيث أنها المبلّغ الأول لبعثة النبي عيسى وشريعته المسيحية، حيث أنها أمرت من قبل الله تعالى بتحمل مسؤلية الانجاب بطريقة المعجزة من دون فحل ليمهد الطريق لبيان المعجزة لنبوّة عيسى وشريعته، ثم أمرت من قبله تعالى بحمله والمجيء به الى بني اسرائيل وأن لا تكلمهم وأن تشير اليه ليستنطقوه فيتكلّم في المهد فهي قد قامت بكل هذه

---

1 – آل عمران: 44 .

2 – آل عمران: 37 .



المسؤوليات الموظفة من قبله تعالى لها لتبليغ واظهار المعجزة الاولى على نبوّة عيسى(عليه السلام) وكان ذلك عن اعتقاد منها بنبوة عيسى بتوسط ما أوحي لها من دون وساطة النبي زكريا أو غيره من الانبياء في زمانه، فهي ابتدأت بابلاغ شريعة جديدة من دون أخذ هذا الامر الالهي ذو الشأن العظيم الخطير من نبي ولا رسول ولا بوساطة النبي عيسى أيضاً، وهذا ما تعنيه الآية الكريمة (وجعلنا ابن مريم وأمّه آية) فلولا حجية مريم وحجية ما يوحى اليها لكان بامكانها ابطال المعجزة الالهية وهي ولادة عيسى من دون أب، بأن تدعي .والعياذ بالله . أنه لقيط وجدته في الطريق أو أنها ولدته عن زوج غائب أو ما شابه ذلك، فانظر الى مقام كمال حجيتها ودورها في ابلاغ الرسالة في قوله تعالى (فأشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا). فهذاالنمط من المجاهدة والمخاطرة بالعرض بأمر من الله تعالى وتعيين منه، فهو حكمة بالغة من الله تعالى في اختيار هذا النمط من الجهاد، بحيث لا يتأدى اقامة الدين إلا بذلك من دون تدنس وابتذال في العِرضْ ولا زوال لطهارته وعصمة مناعته، وانّما هي مخاطرة ظاهرية بالسمعة، وهذا نظير ما وقع لعترة النبي(صلى الله عليه وآله) بعد واقعة كربلاء المفجعة، حيث كان فضح بني أمية وزيغهم، عن الدين وعدائهم لصاحب الرسالة لا يتم إلا بالمخاطرة بعيالات النبوة

وتعويضهم للسبي من قبل بني أمية، ووقوف عقيلة بني هاشم وخوفة الطالبيين في مجلس الطاغية ابن زياد ومجلس يزيد والقاء خطبها لبيان حقانية سيد الشهداء(عليه السلام) وبطلان بني أمية وحزبهم.

اذن فما جرى للسيدة مريم (عليها السلام) من المخاطرة بحرمتها وقدسيتها قد جرى على حرمة وقدسية فاطمة(عليها السلام) اذ خاطرت بحرمتها وقدسها في الذب عن امامة علي(عليه السلام) وذلك بالتصدي للمهاجمين على بيته(عليه السلام)، فكان في ذلك فضح لكل ستار يتخفى من ورائه أصحاب السقيفة لغصب الخلافة وتحريف مسيرتها في الامة، ومن ثَم أحس الخليفة الاول بانتصار قضية علي(عليه السلام) في الامامة، وادحاض دعواه وصحبه فلم يمسك غيضه حتى تكلم بهجين الكلام وهو على منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) كما نقل ذلك ابن ابي الحديد [1].

فبلوغ مريم الى مراتب الحجية كان سبباً في تأسيس الشريعة العيسوية واكتمالها.

كما أن حمل المولود المعجزة والمجيء به الى قومها تُعد احدى أخطر مهامها وأصعبها تحمّلاً فهي مجاهدة ومخاطرة بالعرض وهو أشد للغيارى من قتل النفس. اذ لم يكن من اليسير

---

1 – شرح النهج16: 215 .



أن تتحمل أقدس عفيفة في زمانها مسؤولية التهمة والبهتان ومحاولة تحدي أمّة لم تصل الى مستوى الرشد، بل لازالت في حضيض الجهل والسوء فكانت معاناتها النفسية مما هي فيه من الاستحياء ومخافة اللوم ما ادّى بها الى تمني الموت **{قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً}**[1] قال ابو عبدالله الصادق(عليه السلام): "لأنها لم ترَ في قومها رشيداً ذا قواسة يزهّها من السوء"[2] مما يكشف شدة معاناتها ووطأة المهمة الملقاة على عاتقها، الا أن ذلك لم يفتَّ في عضدها، ولم يحبط همتها، ولم يزعزع تسليمها وانصياعها وطاعتها لله تعالى ولأمره شعرة، بل ذهبت مع ما فيها من آلام التوجسات والخواطر، تحمل ولدها المعجزة لتثبت بكل تسليم واقتدار تحمّل المسؤولية المباركة، ويكشف في الوقت نفسه ما وصلت اليه من الاكتمال في التسليم والانصياع وتحمل المسؤولية من حين تحديثها الملائكة وقبولها لذلك، ولم يصدر منها أدنى تردد أو اعتذار لقبول المهمة، مما يعني بكل تأكيد كونها طرفاً مهماً في بلوغ الرسالة العيسوية هذا المبلغ من الاقتدار على تحدي طغام بني اسرائيل ولئامهم وزحفها مخترقة كل حواجز اليهودية المتربصة

---

1 – مريم: 23 .

2– كنز الدقائق 8: 210 .

لرسالات السماء. فتلخص:

أولاً: أن الذي بدأ بإبلاغ بعثة النبي عيسى هي مريم(عليها السلام) وهو نمط فريد في بعثة الرسالات الالهية أن يكون الحامل الاول للبعثة هي امرأة.

ثانياً: انّه يدلل على كمال ايمان مريم بما اوحى لها من الاوامر الالهية من دون توسط نبي فيما بينها وبين الله تعالى.

ثالثاً: انّه يدل على حجية الوحي للمرأة المصطفاة المطهرة، ولو قدرّ . العياذ بالله . أن مريم لم تؤمن بما اوحي اليها ولم تمتثل ما أمرت به مباشرة لكان في ذلك إحقاق للمعجزة الالهية على نبوّة عيسى وبعثته بديانة ناسخة لشريعة موسى(عليه السلام)، أي ولادته من غير أب، فمن ثم كانت عصمة مريم وانها من الصفوة المنتجبة للحجية على العباد آية الهية مع إبنها، على حقانية بعثة ونبوّة وشريعة النبي عيسى(عليه السلام) في زمانه، فمن ثَمَ جعُلت من أصول الديانة والشريعة العيسوية كما قال تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمّه آية) بل هذه الآية الالهية واجبة الاعتقاد في الشريعة الاسلامية لوجوب الاعتقاد بكل آيات الله وكلماته وكتبه ورسله، وسيأتي نظير هذا المقام للزهراء(عليها السلام) حيث احتج الله تعالى بها على حقانية نبوّة سيد المرسلين وبعثته وشريعته كما في آية المباهلة، واعطاها الله تعالى مقام ودور صاحب الدعوة للدين



من قبله تعالى، وأن الخمسة أصحاب الكساء صادقون فيما يبلغونه عن الله تعالى من شريعة الاسلام ونبوّة سيد الرسل.

كما أن حجية مريم(عليها السلام) اصلاً من أصول الديانة المسيحية، اذ كونها هي وابنها آية، أي حجة يجب على معتنقي المسيحية التسليم لها وقبولها والاعتقاد بها فهي المتمم لحجية عيسى ورسالته.

فنرى أن القرآن الكريم في السور العديدة لا يدحض اعتقاد المسيحيين والنصارى في جعلهم مريم وعيسى كليهما من أصول الاعتقاد والديانة بل يدحض تأليههم لهما، فلا يخطّئهم في كونهما من أصول الدين بل غاية الامر أنه يحدد غلوهم الذي هو في تأليههم في مريم وعيسى، فيؤكد القرآن على بشريتهما مع تصريحه بكونهما معاً آية وحجّة.

قال تعالى: **{وإذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم ءأنت قلْت َللناس اتخذوني وأميّ إلهين من دون الله}**[1] وقوله تعالى: **{ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صديقة كانا يأكلان الطعام}**[2] .

---

1- المائدة: 116 .

2- المائدة: 75 .



### مراحل الاعداد والاصطفاء

ولم تزل مريم ابنت عمران تحضى برعاية الرب ورضوانه طالما نذرت نفسها لطاعته وعبادته وانقطاعها اليه، فيغدقها بالرحمة ويحبوها بالكرامة ومن ثم يصطفيها لحجيته ويطهرها على نساء العالمين.

ولم يكن الاصطفاء إلا بعد مراحل تتوج فيها مريم ابنت عمران فتقبلها من قبل الله قبولاً حسناً وانباتها إنباتاً حسنا وًمن ثم فهي تحت قيمومة النبوّة ورعاية الرسالة، أمر موجب لخصائص الاصطفاء والتطهير لتلك المرأة التي سلّمت إرادتها للمرأة الصالحة . امرأة عمران أمّها التقية . حين نذرت ما في بطنها محرراً لله تعالى، وبالفعل تستجيب تلك الطاهرة لإرادة الله فتنقاد مسلّمة لطاعته وعبادته، وهي أول مرحلة تظهر فيها مريم قابليتها على الاصطفاء وقدرتها على تلقي إرادات الله تعالى، وإلا فمن غير اليسير أن تستجيب فتاة في الانقطاع عن الدنيا وملذاتها لتبتلها للوفاء بنذر أمّها حتى كانت تحت إرادتها طيّعة بارّة مطمئنة بقضاء الله تعالى عابدة متبتلة بكل ايمان وشوق وانقياد مما يكشف عن مكنون الايمان الذي أودع في



مطاوي تلك النفس الكريمة واستحقاقها بكل جدارة تحمّل المسؤولية الإلهية في الحجية والاصطفاء قال تعالى: **{إذ قالت امرأة عمران ربّ انّي نذرت لك ما في بطني محررا فَتقبلّ منيّ انك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب انيّ وضّعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإنّي سميتها مريم وانّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلّها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قَال يا مريم أنىّ لك هذا قالت هو من عند الله انّ الله يرزق من يشاء بغير حساب}**[1] .

فالاعداد لكي تكون مريم محلاً صالحاً للحجية يجري تحت رعاية الله تعالى وبقيمومة زكريا نبي الله الذي أوكل بمهمة الاعداد هذه.

ومن هنا فستكون مراحل الاعداد لفاطمة الزهراء(عليها السلام) تشمل مرحلتين:

الاولى: اعداد النبي (صلى الله عليه وآله) لتلقي هذه الكرامة وقبولها.

والثانية: اعدادها(عليها السلام) تحت رعاية الرسالة وقيمومة النبوّة، وقد قال تعالى في مناقب مريم (وكفلّها زكريا)، وفاطمة(عليها السلام) قد كفّلها سيد الانبياء فضلاً عن سيد الأوصياء، فتلك المنقبة لها بنحو أرفع

---

1 – آل عمران: 35 – 37 .



وأعظم.

اذن فبعدما بلغت مريم مراتب الكمال لقابلية الاصطفاء نادتها الملائكة ببشارة الاصطفاء **{إذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين}**[1] والآية معطوفة على قوله تعالى **{انّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين}**[2] مما يعني انّ اصطفاء مريم كان بمستوى اصطفاء الانبياء من آدم ونوح وآل ابراهيم أي اصطفاءً نبوياً تختلف ماهيته بحسب حيثيات النبوّة والامامة التي لا تكون إلا في سنخ الرجال بخصوصيات ليس هنا محل بحثها.

فاصطفاءها الاول هو قبولها لعبادة الله ومن ثم تطهيرها بعصمة الله وبالتالي اصطفائها لحجيته، فمراحل الاصطفاء تتدرج من نشأتها وتتوقّى بتطهيرها وتكتمل بحجيتها.

## التشريك في النعمة... تشريك في الحجّية

واذا خصّ الله عيسى برسالته وهو نبيّه، فانّ مريم ابنت عمران اشتركت في نعم الله السابغة مع نبيه، أي تكون الاشتراك في النعمة دالّة على القرب الى الله ورفيع المنزلة والكرامة لديه،

---

1 - آل عمران: 42 .

2 - آل عمران: 33 .



مما يعني وجود اشتراك في سنخية المهمة بين عيسى ومريم ابنت عمران، قال تعالى **{اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم انْ هذا إلا سحر مبين}**[1] .

وهذه النعمة نعمة لدنيّة الهية خاصة بالمصطفين من اوليائه نظير قول سليمان **{ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ}**[2] وهي النعمة التي أشار اليها تعالى عندما اوج مريم في مصافي الانبياء والرسل في سورة مريم حيث قال تعالى (ذكر رحمة ربّك عبده زكريا) وقال: (واذكر في الكتاب مريم) بعد ذكر يحيى ثم ذكر عيسى فقال (واذكر في الكتاب اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً) ثم ذكر ابراهيم انّه كان صديقاً نبيا) ثم ذكر اسحاق ويعقوب ثم قال (واذكر في الكتاب موسى انهّ كان مخلصا نبًيا) ثم قال (واذكر في الكتاب اسماعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا)

---

1- المائدة: 110 .

2- النمل:19 .



ثم قال (واذكر في الكتاب ادريس انّه كان صديقاً نبيا) وكان قد ذكر لكل واحد منهم ما وهب الله له، فوهب لزكريا يحيى ووهب لمريم عيسى، ووهب لابراهيم اسحاق ويعقوب، ووهب لهم من رحمته وجعل لهم لسان صدق ووهب لموسى أخاه هارون نبيا، ثم قال تعالى في نهاية المطاف **{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممّن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً}**[1] فأوج مريم في من هدى واجتبى في مصافي الانبياء، وانّ نعمة الاجتباء والاصطفاء في مضاهاة نعمة النبوّة لكونهما من النعم اللدنية من نعم الله تعالى.

فتماثل النعمة دالّ عليه الذكر المشترك الذي عنى بهما القرآن لقوله تعالى (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك)فعدم اختصاصه بالنعمة واشتراك والدته بالذكر دليل على النعم المشتركة التي فضل الله بهما حجية عيسى ومريم، فالامتنان الالهي على كلا المذكورين يستوجب اشتراكهما بجميع ما أوردته الآية الكريمة.

---

1 - مريم: 58 .



## الاعتقاد بحجية مريم ومقامها من خصوصيات الدين الاسلامي

على أننا نؤكد في الوقت نفسه أن هذا الاعتقاد بحجية مريم ومقامها احدى خصوصيات دين الاسلام الحنيف، الذي تؤكد تعظيم مقام المرأة وامكانها بلوغ الكمال والرشد، وذلك بفضل الطاعة لله تعالى والتقوى والعفّة،ولا يكتفي الاسلام بالشعارات التافهة التي ترفعها الحضارة الغربية والتي لم ترَ أدنى قابلية الرشد والكمال للمرأة كما تراه الاسلام في نماذجه الطاهرة العفيفة، كمريم بنت عمران وفاطمة الزهراء عليهما السلام، اذ دعوى الحضارة الغربية بالدفاع عن حقوق المرأة وتكريمها تتكاذب مع ممارساتها اللاانسانية في اضعاف مقام المرأة وتسقيطه الى مستوى العبث والمتعة، فضلاً عن الغاء اعتقادها بمقام مريم وعظمتها وشرف مسؤوليتها في انبثاق الديانة المسيحية لكمال حجيتها التي من المفترض أن تكون من دواعي الديانة المسيحية، إلا أن الحضارة الغربية المطالبة بحقوق المرأة تغفل عما حضيت به المرأة من المقام السامي والشأن الكريم لدى الدين الاسلامي، فالعقيدة الاسلامية بمقام السيدة مريم وجهدها في نشوء الرسالة العيسوية وحجيتها الالهية، فضلاً عن المسؤولية العظمى والحجية الكبرى التي تختص بها فاطمة الزهراء(عليها السلام) احدى دواعي الاعتزاز بهذين المقامين الشامخين



اللذين كرمهما الله تعالى بحجيته.

فالمطالبة بحقوق المرأة تكمن حقيقته في تحديد رسالتها السامية بتربيتها للأمة تربية صالحة، وباستطاعتها كذلك هدايتها للامة هداية تتناسب وتوجهات سعادتها وكمالها كما هو الحال في شأن مريم بنت عمران(عليها السلام) وهدايتها للامة من خلال حجيتها التي منحها الله تعالى تكريماً لها، وكما في سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء(عليها السلام) التي اثبتت لياقتها التامة في تحمّلها مسؤولية تشخيص الانحرافات العقائدية والسياسية بعُيد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله)مستخدمة حجيتها التي منحها الله تعالى، وهذا مالم تجده في أية حضارة اخرى تدّعي المطالبة بحقوق المرأة حتى تجعلها وسيلة لهو ومتعة تتداعى من خلالها كل شعارات الحرية الوضعية البعيدة عن النهج الرسالي القويم.

## الوسط الاسلامي..والتطرف المسيحي

ولم تهتدِ المسيحية لابتعادها عن الحق في تشخيص مقام مريم وابنها المسيح، فتطرفت في ذلك حتى جعلت المسيح ثالث

ثلاثة، وألّهت المسيح وأمّه، وقد عالج الاسلام هذه المشكلة الفكرية التي وقعت بها المسيحية لابتعادها عن حقيقة تعاليمها السماوية، وأبطل أول الأمر الألوهية لهذين العبدين



القانتين لله تعالى، وأكّد خضوع المسيح وعبوديته لله سبحانه **{وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربّي وربكم انهّ من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}**[1] اذ حدد مهمة عيسى أولاً وهي العبودية المحضة والطاعة الخالصة لله الواحد الأحد، ودون ذلك شرك وظلم يستحق معتقده النار، ثم أشار الى بشرية مريم وأمّه وأكد أنهما بشرين وأنهما نالا مقام الحجية لله تعالى بطاعتهما وعبادتهما له، فأشار لاحدهما بالرسالة وللآخر بالحجّية بقوله **{ما المسيح ابن مريم إلا رسولاً قد خلت من قبله الرسل وأمّه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبينّ لهم الآيات ثم انظر أنىّ يؤفكون}**[2] ، فالاسلام أكد حدود بشريتهما أولاً ثم أشار الى حجيتهما ثانياً بطاعتهما وعبوديتهما لله تعالى، ومع ذلك كلهّ لم يجد الكافرون غير التكذيب والأفك امّا معاداة أو علواً ومن ثم على الله تعالى بادعائهم ألوهيتهما، لذا فانّ القرآن يصوحّ بكل شدة الى كفر من قال انّ المسيح هو الله، **{لقد كفر الذين قالوا انّ الله هو المسيح ابن مريم}**[3] ولم يكتفوا هؤلاء بغيّهم وكفرهم حتى جعلوا الله ثالث

---

1- المائدة: 72 .

2- المائدة 75 .

3- المائدة: 72 .



ثلاثة وأشار الى كفرهم **{لقد كفر الذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا اله واحد}**[1] فقد دأب القرآن الكريم الى كشف هذه الاعتقادات المزيّفة وفضحها لغرض تقنين المعتقد وعدم تسيبّ الفكر بسبب الدوافع العاطفية والتي تؤول الى فوضى فكرية حقيقية، فحدد القرآن معالم هذا المعتقد وأطرّه ضمن مبادىء ومسلّمات عقائدية والخروج عن هذه الدائرة الفكرية سيؤول الى الغلو والضلال **{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انمّا الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً}**[2] .

فالقرآن كما استنكر على النصارى غلوهم في المسيح وأمّه، كذلك استنكر على اليهود تقصيرهم في الاقرار بمقامهما والعداء لهما والخصومة، فهو كما ينفي الغلو ينفي التقصير في التسليم لهما في الحجية، فلا حجيتهما تستدعي الالوهية ولا بشريتهما تستدعي عدم الحجية وهذا ما يركز عليه القرآن الكريم في كثير من الانبياء والرسل كما في قوله تعالى تعليماً لنبيّه(صلى الله عليه وآله)

1- المائدة: 73 .

2- النساء: 171 .



(قل انّما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ)فالوحي لا ينفي البشريةولا البشرية تنفي تمنزهواختصاصه بالوحي، وقوله تعالى حكاية عن اواهيم(يا أبت انّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صواطاً سويا)ً. وكذا بقية الانبياء حسبما يذكره القرآن الكريم مع أقوامهم فانهم في الغالب يقعون في أحد الطرفين اما التقصير وظن أن البشرية تنفي الحجيةوالارتباط بالغيب، أو الغلو وأن الارتباط بالغيب ينفي البشرية، كما حصل لليهود في عزيز، فالطريقة الوسطىوالمحجة الواضحة هو نفي كل منهما، والتسليم بالحجيةوأنهم بشر ينفي الافواطوالتفويط، كما ينفي المعاداة لأولياء الله، فالوظيفة اتجاه حجج الله أن لا يكون الفرد من الغالين المفوضين،ولا من الناصبين المعاديينولا من المقصرين المرتابين، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: "فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصّر في حقّكمزاهق".

فبعد أن حدد ماهية المسيح البشريةوأشار الىرسالته، نهى الخروج عن دائرة هذا التشخيصوالقول بخلاف هذه الحدود البشرية لرسول الله المسيحوأمّه الصديقة.

أما ما يشهد للتشريك بالحجية، فضلاً عن اشتراكهما في ذكر النعموالمنن عليهما من قبل الله تعالى فلقوله تعالى (وجعلنا ابن مريموأمّه آية)والآية هي الحجة كما هو معلوم عن أبي



عبدالله(عليه السلام) في قول الله عزّوجل: (وجعلنا ابن مريموأمّه آية)قال: "أي حجة"[1] ، فاقترانهما في ذكر كونهما آية دليل على تقارب حجيتهماواشتراكهما كذلك.

## التشابه بين مقامي مريم وفاطمة(عليهما السلام)

وغرضنا من الاسهاب في مقام مريم (عليها السلام) سيتضح اذا ما عرفنا أن وحدة المناط بين مقامي مريموفاطمة عليهما السلام سيكون بالأولوية القطعية المسلّمة لدى الفريقين.

فاذا كانت مريم سيدة نساءزمانها قد حازت على تلك المقامات السامية التي شهد بها القرآن الكريم من الاصطفاء والعصمة، فانّ فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولينوالأخرين[2] ستكون لها تلك المقامات التي تثبت حجيتها كذلك بل انّ تصريح القرآن بمقامات فاطمة الزهراء(عليها السلام) يضاهي ويعظم عمّا صرّح به في مقامات مريم فيغنينا في الاستدلال عن الاولوية

1 - البرهان: 3:113 .

2 – البخاري4:248 ، وفي مناقب فاطمة(عليها السلام) نفس الحديث وكذلك في مجلد8:79 ، وصحيح مسلم4:1904 حديث97 ، والحديث بلفظ سيدة نساء أهل الجنة ومعلوم، وجامع الاصول9:129 – 131 حديث6677 وطبعة دار احياء التراث ح6665 والترمذي5:701 حديث 3872 – 3878 وسنن أبي داود4:355 حديث98 و99 ، ومعلوم ان ذلك يؤول الى انها سيّدة نساء العالمين من الاولين.



وان كانت هي حقيقة ثابتة في روايات الفريقين فليس بدعاً اذن أن تعتقد الامامية ما تعتقده في فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فصريح القرآن يثبت حجية مريم بما لها من المقامات الالهية الثابتة وهي حجة لاحدى الشرائع السماوية فكيف بفاطمة الزهراء(عليها السلام) وقد أثبت لها صريح القرآن دخولها تحت عنوان أهل البيت الذي شمل نبي الشريعة الخاتمة! مما يعني أن هناك مقامات يشترك بها أهل البيت تخصصها بعد ذلك رتبهم الإلهية.

قال تعالى: **{انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً}**[1] .

اتفق الفريقان على نزولها في أهل البيت، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام).

أخرج السيوطي عن ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أمّ سلمة رضي الله عنها زوج النبي(صلى الله عليه وآله): أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها حريرة فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): "ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً" فدعتهم، فبينما هم يأكلون اذ نزلت على رسول الله(صلى الله عليه وآله)(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)فأخذ النبي(صلى الله عليه وآله) بفضلة ازاره

---

1 – الاحزاب: 33 .



فغشاهم اياها، ثم اخرج يده من الكساء وأومأ بها الى السماء ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً" قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي في الستر فقلت: يا رسول الله وأنا معكم فقال: "انك الى خير" مرتين[1] هذاما أخرجه أهل السنّة في شأن نزولها ولعلّ طرقها بلغت العشرات لتصل الى حد التواتر دون أدنى ريب.

وما رواه الامامية من طرقهم كثير إلا أننا سنختصر على ما أورده صاحب البرهان في تفسيره من رواية عن أبي عبدالله(عليه السلام)عن أبي بصير قال: "سألت أبا عبدالله عن قول الله عزّوجل: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) قال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين(عليهم السلام) فقلت له: انّ الناس يقولون فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته(عليهم السلام)في كتاب الله عزّوجل؟ قال: قولوا لهم انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله

لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو الذي فسر ذلك لهم، وتولت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو الذي فسرّ ذلك لهم وتول الحج فلم يقل لهم طوفوا سبعاً وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو الذي فسّر ذلك لهم، وتولت

---

1- الدر المنثور 6: 603 دار الفكر بيروت.



أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وتولت في علي والحسن والحسين عليهم السلام فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في علي من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال(عليه السلام): أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فاني سألت الله عزّوجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض فاعطاني ذلك، وقال: لا تعلموهم فهم أعلم منكم وقال: ثم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة فلو سكت رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلم يبيّن من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان ولكن الله عزوجل تول في كتابه تصديقاً لنبيّه(صلى الله عليه وآله)(انمّا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فكان علي والحسن والحسين وفاطمة(عليهم السلام) فأدخلهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) تحت الكساء في بيت أمّ سلمة ثم قال: "اللهمّ انّ لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي" فقالت أم سلمة ألست من أهلك؟ فقال: "انك الى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي" فلما قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله)كان عليّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله(صلى الله عليه وآله) أقامه للناس وأخذ بيده فلما مضى عليّ لم يكن يستطيع علي ولم يكن ليفعل ان يدخل محمد بن علي والعباس بن علي ولا أحداً من ولده اذاً لقال الحسن والحسين ان الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلّغ فينا رسول الله(صلى الله عليه وآله) كما بلّغ



فيك واذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك...[1]

والذي يعنينا من هذه الرواية على طولها:

انّ هناك اشتراك في حيثيات الحجية لأهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير وخصصتهم الروايات المتواترة من قبل الفريقين بأنهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)، لذا فقول الامام(عليه السلام) "اذاً لقال الحسن والحسين انّ الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلّغ فينا رسول الله(صلى الله عليه وآله) كما بلّغ فيك واذهب عنّا الرجس كما أذهبه عنك..." مما يعني ان إذهاب الرجس عنهم له خصوصية في اثبات الحجية، فكما سيحتج الحسنان لاثبات حجيتهما بآية التطهير فانّ لفاطة الحجية كذلك منوّعة من آية التطهير ولإذهاب الرجس عنها(عليها السلام). وتلخّص من ذلك: أنه كما أُثبتت حجية السيدة مريم(عليها السلام) باصطفائها وتطهيرها لقوله تعالى **{واذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين}**[2] أمكن اثبات حجية السيدة فاطمة(عليها

السلام)باصطفائها وتطهرها للأولوية، ووجه الاولوية أن فاطمة (عليها السلام) قد تم اصطفائها وتطهرها بآية التطهير مع النبي(صلى الله عليه وآله) وعلي

---

1 - البرهان في تفسير القرآن:3:309.

2 - آل عمران: 42 .



والحسنان(عليهم السلام) الذين ثبتت حجيتهم القطعية لكون الآية مشيرة الى اشتراك الحكم بين أهل البيت(عليهم السلام) الذين كانوا تحت الكساء ومنهم فاطمة(عليها السلام). وخصوص المطهّر في الأمّة الاسلامية في شريعة هذا الدين قد أثبت له القرآن وصف آخر وهو مس الكتاب المكنون الذي فيه حقيقة القرآن وذلك في قوله تعالى **{فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم انّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من ربّ العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أن تكذّبون}**[1] ففي الآية قد عظّم الله تعالى القسم فيها بوجوه عديدة لا تخفى على المتأمل في تركيب ألفاظ الآية التي قد تربو على السبعة وجوه كل ذلك لتأكيد القضية التي أراد القسم عليها ثم أكد القضية بوجهين آخرين أيضاً مما يدلّ على أن القضية خبرية وليست انشائية والمخبر به هو كون القرآن ذو حقيقة تكوينية مكنونة علوية، وأن المصحف المنقوش بين الدفتين تنزيل لتلك الحقيقة من دون تجافي تلك الحقيقة التكوينية المحفوظة في كِن القرآن عن موقعها العلوي، وأن تلك الحقيقة لا يصل اليها ولا يدركها الا المطهر في شرع الاسلام.

والكتاب المكنون هذا الذي فيه حقيقة القرآن قد وصف في

---

1 - الواقعة: 79 . 81 .



سورة الانعام بأنه الذي يُستطر فيه كل رطب ويابس، وفيه ما من غائبة كما في قوله تعالى **{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}**[1] وقوله تعالى **{ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب}**[2] وقوله تعالى **{وما من غائبة في السماء والارض إلا في كتاب مبين}**[3] وقوله تعالى **{ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة}**[4] وقوله تعالى: **{عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين}**[5] وقوله تعالى **{وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ان ذلك على الله يسير}**[6] . فقد وصف الكتاب بأوصاف جامعة محيطة بكل مغيبات الخلقة المستقبلية، ما هو كائن وما يكون وما هو خفي في النشآت العلوية، ومن ثم كان مصحف فاطمة(عليها السلام)مشتملاً على الأخبار

1- الانعام: 59 .

2 - الرعد: 39 .

3- النمل: 75 .

4- النحل: 89 .

5- سبأ: 3 .

6- فاطر: 11 .



بالأمور المستقبلية بما كان وما هو كائن، الدال على أن احاطتها(عليها السلام)بذلك لاحاطتها بحقيقة القرآن العلوية في الكتاب المكنون بعد دلالة آية التطهير كونها مطهرة من كل رجس ودلالة سورة الواقعة على أنّ كل مطهر في هذه الشريعة يمس الكتاب المكنون، وهذا مقام لم تصل اليه مريم، بل هو خاص كما ذكرنا بالمطهرين في شرع الاسلام دون المعصومين بل الشرائع السابقة.

**فاطمة(عليها السلام) فوق مقام الأبرار**

قال تعالى: **{انّ الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا}**[1] .

وصفٌ لحال الأبرار الذين نعموا برضوان الله تعالى وكرامته وبيان لمقامهم، وأظهر مصاديق هذا المقام الكريم انهّم يشربون كأساً صفته ممزوج بكافور.

ثم تنتقل الآية الى وصف هذه العين التي هي شراب المقربين، وهي عين يتولى أمرها عباد الله اذ يفجرونها تفجيراً،

1- الدهر: 5 - 9 .



فمن هم هؤلاء الذين يتولون تفجير هذه العين وأمرها، ومن ثَمَ يسقون منها الابرار؟

ان الآية تكفّلت ببيان هؤلاء المتولين لأمر هذه العين وهم عباد الله الذين صفاتهم :

1 - يوفون بالنذر.

2 - يخافون يوم القيامة الذي يكون شره مستطيراً مهولاً.

3 - يطعمون المسكين واليتيم والأسير لله تعالى عطاءً خالصاً لا يرجون من غيره جزاءً ولا شكورا.

فمن هؤلاء اذن؟

اتّفق الفريقان أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام).

فقد أورد الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل بأربع وعشرين طريقاً أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) وخلاصة القصة انّهم(عليهم السلام) السلام نذروا إن عوفي الحسنان أن يصوموا لله تعالى ثلاثاً، فلمّا عوفيا، وفوا بنذرهم فجاءهم في اليوم الاول مسكين فأعطوه طعامهم وسألهم في اليوم الثاني يتيم فأعطوه طعامهم ووقف ببابهم أسير فأعطوه طعامهم فباتوا ثلاثاً طاويين فانزل الله بهم هذه الآيات، فثبتت صفة عباد الله الذين يفجرون هذه العين لهم(عليهم السلام).



فاذن هم الذين يفجرون عين الكافور ويفيضون منها على الابرار ليمزج شرابهم بقليل من العين أي أنها واسطة فيض على الابرار ولهم القيمومة التامة على ذلك، وهذا يطابق قيمومتهم على الابرار وانّهم المقرّبون في قوله تعالى: **{كلا ان كتاب الابرار لفي عليين، وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون}**[1].

فشهادة كتاب الابرار من قبل المقربين دليل على قيمومة المقربين على الابرار وشهادتهم عليهم، فالمقربون هم الشهداء على كتاب الابرار أي أعمالهم، ولذلك ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة "أنتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء.."

وفي موضع اخر من الزيارة "شهداء على خلقه وأعلاماً لعباده" هذه هي شهادة المقربون وهيمنتهم على الابرار، والمقرّبون هؤلاء هم السابقون الذين وصفتهم الآية بقوله تعالى **{والسابقون السابقون اولئك المقربون}**[2] مع أن سورة الدهر لم تنزل في سياقات وصف المقربين وهم الذين يوفون بالنذر **{يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك**

---

1- المطففين: 18 - 21 .

2- الواقعة: 10 - 11 .



**اليوم ولقاهم نضرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلا، ويطاف عليهم بآنية من فضّة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويُسقونَ فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا، عينا فيها تسمى سلسبيلا}**[1] هذا حال المقربين، ويطابق هذا الوصف لعباد الله وارتفاع مقامهم عن الابرار ما في سورة المطففين من قوله تعالى **{كلا انّ كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون انّ الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون}**[2] فهذه الآيات تشير ايضاً

الى أن المقربين واسطة فيض للابرار وهم الذين يمزجون شراب الابرار بشيء من التسنيم،ولأنهم وسطاء فيض فهم يشهدون اعمال الابرار، وهذا يتطابق مع ما تقدم من أن المطهرين في هذا الشرع المقدس، المعصومين يمسون الكتاب في اللوح المحفوظ المكنون الذي يستطر فيه كل غائبة، ومنها أعمال العباد، فالمطهر هو المقرّب، وهم عباد الله الذين

---

1- الدهر: 7 - 17 .

2- المطففين: 18 - 28 .



يسقون الابرار من عين يفجرونها تفجيرا، وهذه العين هي عين الكافور، وهي عين فوق مقام الابرار، والسلسبيل الذي هو مصدر المقربين والعين التي يسقون منها هو رسول الله(صلى الله عليه وآله) اذ هو القيّم على المقربين الذين هم أهل البيت(عليهم السلام) وهو مصدرهم.

فتلّخص اذن أن الابرار يُسقون كأساً ممزوجة بالكافور، والمقربون هم مصدر الابرار، والسلسبيل مصدر المقربين التي يسقون ويُسقوْن َمنها، على أن السقاية من العين وتفجيرها، تعني أن المقربيّن هم واسطة افاضة على الابرار، الذين يفيضون بالنور والعلم والحكمة والهداية على الابرار، وهؤلاء المقرّبين وهم علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)يفُاض عليهم من عين السلسبيل بواسطة رسول الله(صلى الله عليه وآله) فعلومهم وراثة من رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) كما في الروايات الواردة عنهم، مما يعني أن المقربين هم في مقام الحجية والقيمومة المهيمنة على الخلق اذ قيمومتهم تصدر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي ينص على حجيتهم وامامتهم بأمر الله تعالى.

وبذلك يتّضح مقام فاطمة(عليها السلام) وكونها إحدى وسائط الافاضة على الخلق النابعة من مصدر إلهي يمثله رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) وظهر أنّها شاهدة للهّ على الخلق، وأنهاّ هادية لهم، وأنهاّ من الراسخين في العلم الذين يمسون الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ،



فهي من الذين أوتوا العلم وأثبت في صدورهم وأنها ممّن يعُرض عليها أعمال العباد.

### فاطمة (عليها السلام) من المطهرين الذين يمسون الكتاب

واذا ثبت أن المطهرين هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) بحكم آية التطهير(انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فانّ من خصوصيات المطهرين أنهم هم الذين يمسون كتاب الله تعالى **{انّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون}**[1] أي لا يعلمه إلا المطهرون،ولا يعني المس هنا مس نفس الوجود الخطي والكتبي للقرآن الكريم، اذ لا معنى لذلك والآية في مقام الاشارة الى مكنونية هذا الكتاب بمثل هذا القسم المغلّظ الذي يتعلّق بالأمر الخبري لا الإنشائي، فلفظ (لا) في الآية نافية لا ناهية بل يقصد الاخبار، كما أنّه قد وصف الكتاب المكنون بأنّه الذي

تنزل منه القرآن المصحف الذي بين الدفتين، فالقرآن في الكتاب المكنون له حقيقة علوية لا يتناولها إلا المطهّر المعصوم، فالحقيقة العلوية بعيدة عن افهام الناس إلا بواسطة المطهرين، فالمطهرون هم اهل بيانه وتفسيره ومعرفته، وهم العالمون

---

1 - الواقعة: 77 - 79 .



ببطونه وعلومه **{انّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم}**[1] ولا يعلم تأويل الكتاب إلا الراسخون في العلم **{ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم}**[2] قال ابو عبدالله(عليه السلام): "نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله" واذا ثبت أن المطهرين هم المقربون كما تقدم ذكره من أن المقربين هم علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) فانّ الكتاب المكنون لا يمسه إلا المطهرون، أخرج السيوطي عن ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس عن النبي(صلى الله عليه وآله)في قوله تعالى (انّه لقرآن كريم في كتاب مكنون)قال: عند الله في صحف مطهرة (لا يمسه إلا المطهرون) قال: المقربون[3] .

واذا كان المطهرون هم المقربون الذين يمسون الكتاب ويعلمون تأويل بواطنه فانّ لهم الحجية من الله تعالى على الخلق اذ الحجة هو الموصل لمعرفة الطريق الى الله ومن هنا نعلم أن احاطتهم(عليهم السلام) بكل شيء دليل حجيتهم اذ علمهم بالكتاب يعمّ علمهم بكل شيء، فالكتاب محفوظ فيه علم كل شيء لقوله تعالى: **{ولا حبّة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس**

---

1 - الزخرف: 4 .

2 - آل عمران: 7 .

3 - الدر المنثور8: 27 .



**إلا في كتاب مبين}**[1] فالحجية تعني ولايتهم على الخلق بقسميها ولايتهم التشريعية المنبعثة من مقام علمهم بالكتاب الذي يضم علم كل شيء، اذ الولاية التشريعية لا تتم إلا بمعرفة أحكام كل شيء فهي من لوازم العلم، وبحكم علمهم بكتاب الله فانّ لهم الولاية التكوينية على الخلق، اذ هذا القرآن بحقيقته العلمية المكنونة التكوينية الملكوتية الذي لا يعلمه إلا المطهرون موصوف بقابلياته الالهية المودعة فيه **{ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعّت به الارض أو كلم بّه الموتى...}**[2] وقوله تعالى (وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ اليك طرفك)فالحجية هي المقام الالهي المنبعثة منها ولايتهم (عليهم السلام)بقسميها.

وبهذا سيتم لنا معرفة مقام فاطمة(عليها السلام) من حيث معرفتها بكتاب الله وبواطنه وعلومه، ومن حيث ولايتها التشريعية والتكوينية معاً.

وقد رويت في عرض ولايتها على الخلق كباقي ولاية أصحاب الكساء والأئمة المعصومين(عليهم السلام) روايات عديدة

1- الانعام: 59 .

2 - الرعد: 31 .



فلاحظ[1] .

## فاطمة (عليها السلام) وحجّيتها لدين الاسلام

### وفيه جهتان:

**الجهة الأولى:**

تُعد آية المباهلة من أهم الآيات التي أثبتت حجية فاطمة(عليها السلام)، اذ هذه الآية كانت مقام الفصل بين حقانية الدين الاسلامي ونسخ غوه من الأديان.

فالنصارى الذين احتج عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكل حجة لم يذعنوا في الظاهر، وتمادوا في تشكيكهم وتكذيبهم لدعوة النبي(صلى الله عليه وآله) ولم يملكوا إلا الاذعان لما دعاهم النبي(صلى الله عليه وآله) للتباهل الى الله تعالى ليلعن الكاذب، ولم يجد النصارى بداً من القبول بذلك، حتى اذا أراد النبي(صلى الله عليه وآله)مباهلتهم علموا صدق النبي(صلى الله عليه وآله)بالخروج بالمباهلة بنفسه وأهل بيته، مما دعى النصارى الى التسليم لصدق دعوته واذعانهم اليه، قال تعالى:

**{فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم**

1 - البحار 11: 172 و27: 199، و36: 261 و16: 361 و37:62 و37:62 ، وفي معاني الأخبار 38 . 39، وفي غيبة النعماني: 93 . 94.



**ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين}**[1] .

أخرج السيوطي في الدر المنثور عن جابر قال: "قدم على النبي(صلى الله عليه وآله)العاقب والسيد فدعاهما الى الاسلام فقالا: أسلمنا يا محمد قال: كذبتما ان شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام، قالا: فهات قال: حبّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير قال جابر: فدعاهما الى الملاعنة، فدعواه الى الغد، فغدا رسول الله(صلى الله عليه وآله)وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل اليهما فأبيا أن يجيباه وأقرّا له فقال: والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما نارا قال لجابر: فيهم نزلت (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...)الآية قال جابر: (أنفسنا وأنفسكم)رسول الله(صلى الله عليه وآله)وعلي، و(أبناءنا)الحسن والحسين، و(نساءنا)فاطمة"[2] .

وروى ذلك السيوطي بعدة طرق.

وأخرج الحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل القصة في تسع طرق [3].

---

1 – آل عمران: 61 .

2 – الدر النثور للسيوطي2: 230 .

3 – شواهد التنزيل1: 155.



وروى ذلك ابن كثير في تفسيره عن جابر [1].

فمباهلة النبي(صلى الله عليه وآله) بعلي وفاطمة والحسن والحسين يعني احتجاجه على النصارى بهؤلاء الذين هم الحجة على صدق دعوة النبي وبعثته. كما انّ المباهلة تعني بحسب ماهيتها أن النبي(صلى الله عليه وآله) جعل هؤلاء المتباهل بهم شركاء في دعوته، مما يعني أن مسؤولية الدعوة تقع على عاتقهم كذلك بحجيتهم ومقامهم، مشيرة الى وجود تعاضد وتقاسم بينهم وبين النبي(صلى الله عليه وآله) كما يفيد ذلك حديث المنزلة الذي رواه الفريقان، عن سعد بن أبي وقاص أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال لعلي: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ألا أنّه لا نبي بعدي" [2] فمنزلته(عليه السلام) بمنزلة هارون، وصفٌ لحجيته ومشاركته في دعوته كما شارك هارون موسى في دعوته، فهذه المقاسمة والمشاركة في المنزلة دليل حجيته(عليه السلام) كما أن مشاركة علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) في المباهلة مع النبي(صلى الله عليه وآله)دليل حجيتهم ومشاركتهم معه (عليهم السلام)في تبليغ صدق بعثته (صلى الله عليه وآله)هذا ما تبينه آية المباهلة من مقام فاطمة (عليها السلام)وحجيتها كذلك.

فهذه مقامات يمكن متابعتها في اصطلاحات القرآن تفسّر مقام الزهراء(عليها السلام)وأنها بنص القرآن حجة من حجج الله تعالى في

---

1- تفسير ابن كثير 1 : 484.

2- ذخائر العقبى: 63 .



مصاف الانبياء والرسل.

وما روي عن ابي جعفر(عليه السلام) في حجية فاطمة(عليه السلام) قوله: "ولقد كانت فاطمة(عليها السلام) مفوضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والانس والطير والوحش، والانبياء والملائكة" [1].

فتحصّل أن مؤدى آية المباهلة هو بنصب الله تعالى فاطمة(عليها السلام)حجة على حقانية الاسلام ونبوة نبيّه وشريعته،

لاحتجاجه تعالى بها على النصارى وأهل الكتاب، فلم يحصر تعالى الحجية على الدين بالنبي(صلى الله عليه وآله)، بل جعل الخمسة كلهم حجة على دينه، ومقتضى هذا الاحتجاج منه تعالى أن متابعة علي وفاطمة والحسنين(عليهم السلام) للنبي(صلى الله عليه وآله) وتصديقهم به هو بنفسه دليل على صدق النبي(صلى الله عليه وآله) ورسالته، نظير قوله تعالى **{كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب}**[2] حيث جعل شهادة من عنده علم الكتاب دليل على صدق النبي(صلى الله عليه وآله) من سنخ شهادة معجزة القرآن التي هي شهادة الله لنبيّه والآية من سورة الرعد المكية نزولاً النازلة في علي، حيث لم يسلم من أهل الكتاب في مكة أحد، بل لا يخفى على اللبيب الفطن أن من عنده علم الكتاب شامل للمطهرين في شريعة الاسلام وهم أصحاب آية

---

1 – عوالم العلوم: 190 وفي دلائل الامامة: 30.

2 – الرعد: 43 .



التطهير، لأنهم هم الذين يمسون الكتاب المكنون كما أشارت اليه سورة الواقعة وتقدم مفصلاً فمنه يعلم أن قوله تعالى (وكفى بالله شهيداً) مفادها هو مفاد آية المباهلة في كونها حجة على بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا المعنى هو الذي يشير اليه ما رواه الواقدي أن علياً(عليه السلام) كان من معجزات النبي(صلى الله عليه وآله)كالعصا لموسى واحياء الموتى لعيسى[1] .

ففي مقام الاحتجاج على أهل الاديان لم يأمر الله تعالى نبيّه بدعوة زوجاته أمهات المؤمنين ولا أحد من الصحابة ولا سائر بني هاشم، ولا يخفى أن تعيين الخمسة(عليهم السلام) للمباهلة لم يكن موكولاً للنبي(صلى الله عليه وآله)، بل بأمر من الله وتعيين وتنصيص من الله في قرآنه النازل، وان كان النبي(صلى الله عليه وآله)مأموراً بدعوتهم للمباهلة.

وبمعنى آخر إن المباهلة في اللغة تعني الملاعنة ودعاء كل طرف على الاخر، وهي انّما يتوسل بها عند نفاد الحجة لكلا الطرفين، أي لا لعدم وجود الحجة .ويشير إلى ذلك صدر الآية (فمن حاجّك) أي في مقام الاحتجاج وإقامة الحجّة من كل طرف على مدّعاه في قبال الآخر .، بل لعدم استجابة أحد الطرفين لحجية الاخر فتكون المباهلة نوع من حكم الله بين الطرفين وكأنه استعجال لحكم الله وقضائه الاخروي الى هذه

---

1 – الفهرست لابن النديم الفن الاول من المقالة الثالثة: 111 .



النشأة الدنيوية، ولا ريب انّ أهمية وخطورة المباهلة تتبع مورد المباهلة، فكلما ازداد خطورة اختلفت اهمية حكم الله وفصل قضائه وبالتالي اختلفت نوعية حكمه تعالى، كما انّ مقتضى ماهية المباهلة كون طرفي المباهلة هما المتداعيان أي كل منهما

صاحب دعوة في قبال الاخر، فكلٌ منهما هو صاحب دعوى المتحمل لتلك الدعوى، كما هو الحال في بقية النزاعات والخصومات أن يكون كل منهما على تقدير صدق دعواه وثبوتها هو صاحب الحق ومن له صلة بالحق، كما لا معنى للنيابة في الخصومة في مقام الحلف وما هو من قبيله كالمباهلة، واذ تبينت ماهية المباهلة حكماً وموضوعاً ومتعلقاً، يتبينّ أن الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم، هم أصحاب الدعوة للدين بالأصالة، وأن كلاً منهم ذو صلة وشأن في حقانية الدين وصدق البعثة النبويّة، ومعنى صدقهم في دعواهم أن كلاً منهم يخبر عن علمه بصدق الرسالة ونزول الوحي على النبي(صلى الله عليه وآله) وانبعاثه بدين الاسلام، ومن ثَمَ لابد أن تكون علومهم لدنيّة تؤهلهم للتصدي لهذه الدعوة، اذ بالعلم اللدني وحده يمكن الاطلاع على نزول الوحي، وبالتالي فانّ مسؤولية حفظ الدين وحمايته تقع على الخمسة بنحو المشاركة، مما يدلل على وحدة سنخ المقام والمنصب الشرعي . عدا النبوّة . فضلاً عن ولايتهم



الشرعية على الدين.

**الجهة الثانية:**

ما ورد في الحديث القدسي:"لولاك ما خلقت الأفلاك ولولا عليّ لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما جميعاً"

ولتفسير الحديث ثلاثة أوجه:

**الأول: الوجه الكلامي:**

وليس هنا معنى الحديث . كما قد يتوهّم في بادي النظر . هو أفضلية علي أو فاطمة(عليهما السلام)، بل الرسول(صلى الله عليه وآله) أفضل الكائنات وسيد الورايا (فدنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى) دنواً واقتراباً من العلي الأعلى، وقال علي(عليه السلام) "أنا عبد من عبيد محمد(صلى الله عليه وآله)" أي المأمورين بطاعته(صلى الله عليه وآله). بل مفاده نظير ما رواه الفريقين عن النبي(صلى الله عليه وآله) "عليّ منّي وأنا من عليّ" و"حسين منيّ وأنا من حسين" وهو يحتمل أوجه من المعاني منها: انّ الغرض والغاية من خلق بدن الرسول(صلى الله عليه وآله) في النشأة الدنيوية وابتعاثه لا يكتمل إلا بالدور الذي يقوم به عليّ وفاطمة(عليهما السلام)من أعباء اقامة



الدين وايضاح طريق الهداية، نظير قوله تعالى النازل في أيام غدير خم يوم تنصيب النبي(صلى الله عليه وآله) عليّاً(عليه السلام) إماماً (يا أيّها الرسول بلغّ ما أنزل اليك من ربكّ وان لم تفعل فما بلغتّ رسالته والله يعّصمك من الناس إن الله لاّ يهدي القوم الكافرين)فقد جعل تبليغ الرسالة مرهوناً بنصب علياً إماما ليَقوم بالدور الذي يلي النبي(صلى الله عليه وآله) وكذا قوله تعالى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وهو أيضاً نزل في أيام غدير خم فرضى الرب بالدين مشروط بما أقيم في ذلك اليوم حيث يئس الكفار من ازالة الدين الاسلامي والقضاء عليه، لأن القيم على الدين وحفظه لن ينقطع بموت النبي(صلى الله عليه وآله) بل باق ما بقيت الدنيا.

ونظير قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)فجعل الرسالة في كفّة ومودة الرسول(صلى الله عليه وآله) في كفّة معادلة وقال تعالى (ما سئلتكم من أجر فهو لكم)و(ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتّخذ إلى ربهّ سبيلا)فكانوا هم السبيل اليه تعالى والمسلك إلى رضوانه وانّ الدور الذي قامت به فاطمة(عليها السلام)من ايضاح محجة الحق وطريق الهداية في وقت عمّت الفتنة المسلمين ولم يكن من قالع لظلمتها ودافع للشبه إلا موقف الصديقة الطاهرة(عليه السلام) فقد كان ولازال حاسماً وبصورة لكلّ



المسلمين ولكل الأجيال. اذ هي التي نزلت في حقّها آية التطهير والدهر وهي أمّ أبيها، اذ الأمومة للرسول(صلى الله عليه وآله)وهو مقام لا يقاس به الأمومة للمسلمين،وهي روح النبي(صلى الله عليه وآله) الذي بين جنبيه، فكل هذه الآيات والأحاديث النبويّة لم تزل حيّة وغضة في آذان المسلمين.

وهذا المعنى للحديث حينئذ يقرب من مفاد قوله تعالى (ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أي ليعرفون ثم يعبدون وذلك بوساطة هداية الرسول والدين الحنيف باقامة الائمة(عليهم السلام) له بعده(صلى الله عليه وآله).

### الثاني: الوجه الفلسفي

قد حرر في علم المعقول تعدد الغاية، فمنها غاية نهائية ومنها غايات متوسطة، كما قد حرر أنّ العلل الغائية تكون بحسب مقام متعاكسة بحسب مقام آخر، ولنمثل بذلك مثال يوضح هذا الأمر، فقد يقول القائل: انّي أذهب إلى المدرسة لكي أتعلمّ،وانيّ اتعلم لكي أحصل على الشهادة العيا، كما يصح من هذا القائل قوله لولا ذهابي للمدرسة لما تعلّمت ولولا تعلمّي لما حصلت على الشهادة العليا، كما يصح منه القول: لولا الرغبة للحصول على الشهادة العليا لما تعلّمت ولما ذهبت إلى



المدرسة، فالحاصل من قول هذا القائل ليس مفاده أفضلية الذهاب إلى المدرسة من التعلم،ولا أفضلية التعلم من الدرجة العلمية الفائقة في حصول الشهادة، بل هذا التعليل هو بيان لدور وتأثير الغايات المتوسطة من دون أن يعني ذلك كونها غايات نهائية.

فما يوهمه ظاهر هذا الحديث من كون فاطمة(عليها السلام) علّة غائية نهائية وراء النبي(صلى الله عليه وآله) ليس بمراد، بل حاصل ما يعنيه أنّها(عليها السلام) من الوسائط التي بمثابة غايات شريفة تتلو الغاية النهائية في المقام.

### الثالث: الوجه العرفاني

ومحصّله هو التنويه بالذات النورية للخمسة اصحاب الكساء،وأن بنواتهم النورية اشتقّ اللهّ خلق بقية المخلوقات وهو نظير ما ورد بروايات الفريقين، "أول ما خلق اللّه نور نبيك يا جابر" وفي رواية اخرى العقل، وفي لسان القرآن الماء لقوله تعالى: (وخلقنا من الماء كلّ شيء حي) فهو نظير الروايات الواردة في اشتقاق النور، وقد أسند اللفظ في صدر هذه الرواية، وجُعل الشرط في الشرطية الأولى ذات النبي(صلى الله عليه وآله)الشريفة لا خلقته،والمراد بها ذاته النورية التي هي من عالم الأمر

أي المخلوقة بالمعنى الأعم لا المعنى الأخص كما يشير إلى ذلك

الصفحة 95

قوله تعالى (له الأمر وله الخلق) وقوله تعالى (انّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون)فالمخلوقات على قسمين من عالم الأنوار ومن عالم التراب والمادة الغليظة وهي النشأة الدنياوية.

ففي الشوطية الأولى جعلت ذاته النورية واسطة لفيض خلق الأفلاك، وفي الشوطية الثانية جعلت ذات علي النورية واسطة فيض لخلق البدن الجسدي للنبي(صلى الله عليه وآله) وفي الشوطية الثالثة جعلت ذات فاطمة النورية واسطة فيض لخلق بدن النبي(صلى الله عليه وآله) وبدن الوصي. فمع الدقّة والتأمل في ظرافة التعبير حيث لم يسُند في الشوطية الثانية ولا الأولى ولا الثالثة، ولم يُجعل الشوط في كل منها خلق الثلاثة الأطهار بل جعل نواتهم النورية، وجعل الجزاء في الشوطيات الثلاث الخلق، فليس التعبير "لولا خلقك لما خلقت الافلاك ولولا علي لما كنت ولولا خلق فاطمة لما خلقتكما" والمغزى في اسلوب هذا الحديث المثير للوهم، هو التنبيه على مقامات فاطمة(عليها السلام) وأنّها تلو النبي(صلى الله عليه وآله) والوصي عليهما صلوات اللّه، دون سائر الأنبياء والمرسلين كما تقدم إيضاحه فيما سبق.

فالمحصّل انّ أول المخلوقات نور النبي(صلى الله عليه وآله) ثم نور علي(عليه السلام)ثم نور فاطمة(عليها السلام) ثم بقية الأنوار ثم بقية عوالم ونشأت الخلقة التي تتضمن الأبدان الشريفة للمعصومين، فنور علي وفاطمة

الصفحة 96

يتوسط بين نور النبي(صلى الله عليه وآله) والاجساد الشريفة في تسلسل عوالم الخلقة، وهذا هو المراد من قولنا انّ نور علي وفاطمة(عليهما السلام) واسطة فيض لخلق بدن النبي(صلى الله عليه وآله)كما انّ نور فاطمة(عليها السلام) واسطة لخلق بدنهما.

الصفحة 97

# المقام الرابع

## أمومتها للنبي (صلى الله عليه وآله) في مقابل أمومة زوجاته للمومنين





واذ أكرم الله زوجاته(صلى الله عليه وآله) بأن جعلهن أمّهات للمؤمنين لقوله تعالى **{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمّهاتهم}**[1] اشارة الى بعض آثار الامومة من الاحترام والتكريم لهن كاحترام الأم الحقيقة وتكريمها، فانّ فاطمة (عليها السلام) قد فاقت منزلتها بحجيتها الالهية لتكون أمّاً للنبي(صلى الله عليه وآله) على لسانه بقوله "فاطمة أم أبيها"[2] مما يشير الى عِظم منزلتها وخطير درجتها، فأمومتها له(صلى الله عليه وآله) تعني أن هناك علاقة إرتباط وثيق على مستوى الحجية، أي انّ امومتها للنبي(صلى الله عليه وآله) فضلاً عن رعايتها له(صلى الله عليه وآله) والقيام بشؤونه، فانّ لأمومتها جنبة اشراف ورعاية لدعوته وتصديقه، كاشراف مريم(عليها السلام) لنبي الله عيسى ورعايتها له فضلاً عن رعايتها لدعوته والقيام ببعض

---

1 – الاحزاب: 6 .

2 – بحار الانوار 43: 19 و22:152 ، وتاج المواليد للطبرسي:20 مناقب دل أبي طالب مكاتيب الرسول لأحمد الميانجي 3 : 669 ، وفي مصادر أهل السنّة ما رواه الحافظ ابن المغازلي في المناقب: 340 طبعة، ومقاتل الطالبيين لأبي فرج الاصفهاني: 29 ، المعجم الكبير للطبراني22:397، درر السمط في خبر السبط: 27.



شؤون رسالته.

فكما انّ الرسالة العيسوية قد اعتمدت نشوءاً وبقاءً على مقام السيدة مريم من بدء الحمل حتى ما بعد الولادة،، فإن فاطمة(عليها السلام)تحتل مقام الحجية المشار اليها سابقاً مما يعطي لوقفتها(عليها السلام) بُعداً آخر في تأييد النبي(صلى الله عليه وآله) وتصديقه بدعوته، اذ اقترانها معه بآية التطهير ومشاركتها له بآية المباهلة وبيان مقامها في سورة الدهر من كونها من المقربين الذين يفيضون على الابرار ويترودون من عين السلسبيل وهي عين رسول الله(صلى الله عليه وآله) كل ذلك يؤكد أن أمومتها استناداً الى حجيتها ستكون رعاية اشراف وحجية للدين، وبهذا فكم فرق بين الأمومة للنبي(صلى الله عليه وآله) والأمومة للمؤمنين.

ويحتمل معنى أمومتها للنبي(صلى الله عليه وآله) ما تقدم في المقام السابق من كون وجودها النوري أصل لوجوده البدني، لأن الأم في اللغة تستعمل بمعنى الأصل، نظير ما ورد أن المؤمن أبوه النور وأمّه الرحمة.





# المقام الخامس

## رضا فاطمة(عليها السلام)رضا الله و غضبها غضبه تعالى



روى الفريقان أن رضا فاطمة رضا الله تعالى وغضبها غضبه، فقد روي في عوالم العلوم عن المناقب: أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: "يا فاطمة انّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[1].

وعن كشف الغمة عن الحسين بن علي عن أبيه عن النبي(صلى الله عليه وآله)أنه قال: "يا فاطمة انّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[2].

وروى أهل السنّة بأسانيد مختلفة وطرق متكثرة مثل ما اخرجه محب الدين الطبري في ذخائر العقبى عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) انّ رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) قال: "يا فاطمة ان ّالله عزوجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[3].

يُعد هذا الحديث من جملة الأدلّة على اثبات عصمتها(عليها السلام)، فاضافة الى آية التطهير التي تدل ّعلى عصمتها وحجيتها على الخلق، اذ أن غضب فاطمة ورضاها دالّة على الرضا والغضب

---

1 – عوالم العلوم: 116 .

2 – عوالم العلوم: 116 .

3– ذخائر العقبى: 39 دار المعرفة بيروت.



الالهيين مما يعني أن غضب فاطمة ورضاها فرع غضب الله تعالى ورضاه ومتى ما كان الامر كذلك فاننا نستكشف بالدليل الاني عصمتها (عليها السلام)، اذ لا يكون الرضا والغضب الصادرين من قبل شخص،رضا وغضب الهي الا حينما يكون هذا الشخص بعينه معصوماً عن كل عيب ممتنعاً عن كل قبيح ليكون رضاه وغضبه في حدود الرضا والغضب الالهيين.

وفاطمة(عليها السلام)حضيت بتلك المنزلة تدليلاً على عصمتها وطهارتها فضلاً عن حجيتها ومقامها الالهيين .

كما انّ في الحديث دلالة كافية للزوم ولايتها وطاعتها على الخلق حتى يحصل بذلك رضاها ويتحقق عدم غضبها (عليها السلام)، فاذا تحقق ذلك أمكن احراز الرضا الالهي وتجنّب غضبه تعالى، مما يؤكد أن هذه المواصفات لا تتوفر إلا لمن تمتع بمقام الحجية والتطهير الإلهيين الملازم لوجوب الطاعة على الخلق.

على أنه (صلى الله عليه وآله) عبّر عن حجيتها بماهية الحجية في العقل العملي لا بماهية الحجية في العقل النظري التي تبحث في علم المنطق كالاشكال الاربعة أو في علم اصول الفقه، والسر في ذلك أن الحجية في العقل العملي تستلزم الحجية النظرية دون العكس ومما يدلل على مقام حجيتها وعصمتها العلمية والعملية.

وبيان ذلك: انّ خاصية الحجية النظرية تختلف عن خاصية



وماهية الحجية في الحكمة العملية، ففي بحث المنطق تذكر الواهين والاقيسة التي تشير الى العقل العملي كما انّ في اصول الفقه تذكر الحجية بماهية كاشفية أي حاكية وموصلة. أما الحجية العملية فانّها تتميز بكون هويتها وخاصيتها أنها لازم عملي وليس المقصود منه العمل الجارحي وحده، بل العمل الجوانحي كذلك، أي الحجية العملية ترتبط بالصفات العملية في النفس، بل هي ترتقي فوق الصفات العملية ولا تقتصر على الجوانح بل ترقى الى القلب لتشمل الحب والبغض، والرضاء والغضب، والتولي والتوبيء، فخاصية الحجية العملية اذن ترتبط بالجانب العملي على مستوى القلب الذي يكون أعلى من الادراك الساذج البسيط، ومن ثم فانّ التعبير للحجية العملية لا يعبر عنها بتعبيرات الحجية النظرية، كما في التعبير عنها بالنور واليقين والبيان وغيرها. في حين يختلف الامر عما هو عليه في الحجية العملية كما في قوله (صلى الله عليه وآله) "علي مع الحق والحق مع علي" وقوله(صلى الله عليه وآله)"انّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها" أو ما عبرّ عنه القرآن الكريم **{كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انّه من عبادنا المخلَصين}**[1] وقوله تعالى **{لأغوينهم أجمعين إلا عبادك**

---

1- يوسف: 24 .



**المخلَصين}**[1] وقوله تعالى **{انّه كان مخلَصا وكان رسولا نَبيا}**[2] فالتعبير بالمخلَص تعبير عن الحجية لكن بما هي حجية عملية لا الحجية النظرية، كما في عناوين التطهير والاصطفاء وصفاً للانبياء كما في قوله تعالى (انهّم عندنا من المصطفين الاخيار)[3] وقوله تعالى **{انّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}**[4] وكما في عنوان "المقرّب" كقوله تعالى **{والسابقون السابقون اولئك المقربون}**[5] فهو تعبير عن الحجية العملية وهو وان كان عملاً إلا انّه على صعيد القلب، كما انّ النور فوق الادراك مع أنه على صعيد العمل.

اذن فالحجة العملية، هي حجية نظرية مشوبة بعمل. كما أنها أبلغ في البيان عن الحجية النظرية لأن الحجية النظرية والعصمة النظرية (كلاهما بمعنى واحد) تؤمنان لنا العصمة والأمن من الزلل في التلقي النظري، في حين انها لا تشمل الأمن

من الخطأ في السلوك العملي.

بينما الحجية العملية فهي التلقي النظري وعصمته مفروغ

---

1- الحجر:40.

2- مريم:51 .

3- ص:47 .

4 - الاحزاب: 33 .

5 - الواقعة: 11 .



عنهما فضلاً عن الأمان والعصمة في التطبيق العملي، ومن ثَمَ فتكون ابلغ في الأمان في علو درجة العصمة ومتولتها من الحجية النظرية وحدها.

اذن فالرضا والغضب الذي أشار اليهما النبي(صلى الله عليه وآله) في حديثه لابد أن يكونا تابعين لإرادة الله تعالى، ومع هذا فانّ رضا فاطمة(عليها السلام)سيكون متبوعاً من قبل غضب ورضا الله تعالى، لا أن هذه المتبوعية على مستوى الكشف أي كاشفة عن رضا وغضب الله تعالى، على أن رضا الله تعالى وغضبه هو المتبوع أصلاً ومن هنا يمكن أن نستدل في ذلك على اطلاعها العلمي بإرادات الله تعالى ورضاه فضلاً عن مولد غضبه، مما يؤكد وجود العلم اللدني لدى فاطمة(عليها السلام)للملازمة بين هذا العلم وبين الاطلاع على كل الجزئيات التي لا يتم الاطلاع عليها بدقائقها وأسرارها وغوامضها الا بالعلم اللدني الذي يخص الله به أوليائه وحججه المقربين والتي أظهر مصاديقها وأتمها فاطمة الزهراء(عليها السلام).





# المقام السادس

## مباهاة الله بها لنبيه (صلى الله عليه وآله)





احتلت سورة الكوثر مساحة واسعة من المرتكز الاسلامي الذي يؤكد أن المقصود من الكوثر هو فاطمة(عليها السلام)، فانّ مقتضى سياق الآية في مقابل الشانيء الذي هو ابتر لا ذرية له، بخلاف النبي(صلى الله عليه وآله) فانّ له الكوثر أي الذرية

الكثرة وهي فاطمة(عليها السلام) وما يحصل من ذريتها، ومقتضى المقابلة هو في كثرة الذرية، وإلا لإختلّت المقابلة، والاثبات والنفي لم يردا على شيء واحد، وهذا لا ينافي تأويل الكوثر بأنه نهر في القيامة يسقي به النبي(صلى الله عليه وآله)أمّته فالكلام في مورد نزول الآية، وقد ذهب الى ذلك الفريقين.

قال العلاّمة الطبرسي في تفسير جوامع الجامع لقوله تعالى: (انّا اعطيناك الكوثر) قال: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهر ذلك في نسله من ولد فاطمة (عليها السلام) اذ لا ينحصر عددهم، ويتصل بحمد الله الى اخر الدهر عددهم، وهذا يطابق ما ورد في سبب نزول السورة وهو أن العاص بن وائل السهمي سمّاه الابتر لمّا توفي ابنه عبدالله وقالت قريش: ان محمداً صلبور فيكون تنفيساً عن النبي(صلى الله عليه وآله) ما وجد في نفسه الكبرة من جهة فعالهم وهدماً



لمحالهم[1].

وقد ذهب الى ذلك الفخر الرازي بقوله: الكوثر اولاده(صلى الله عليه وآله)لأن هذه السورة نزلت رداً على من عابه بعدم الاولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلى منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعبأ به[2].

وبالفعل فانّ الاحصائيات تشير الى أن سدس سكان المغرب العربي مثلاً هم من بني فاطمة(عليها السلام) من السادة الحسنيين أي بنسبة خمسة ملايين من مجموع ثلاثين مليوناً.

وهذا أظهر مصاديق الكوثر المشار اليه في الآية الكريمة، اذ ذلك العطاء كان بمقتضى شكره(صلى الله عليه وآله) لربّه واقامة الصلاة والدعاء والثناء عليه تعالى،ولا يخفى ارتباط حقيقة النهر المسمّى بالكوثر بها سلام الله عليها، لأن بين التأويل والظاهر دوام ارتباط.

ولا يخفى أن المباهاة بها (عليها السلام) من قبل الله تعالى لنبيّه على عدوه، يعطي دلالات لحجيتها، اذ الآية في مقام بيان كرامة النبي(صلى الله عليه وآله) عند الله تعالى وكرامته هذه مقرونة بحيازته (صلى الله عليه وآله) لأفضل مخلوق وصفه الله تعالى بالكوثر . أي الخير الكثير .ولا تتم ذلك إلا بكون مورد المباهاة من الخير المطلق الكامل التام.

---

1 – تفسير جوامع الجامع للعلامة الطبرسي: 553 ، الطبعة الحجرية.

2 – تفسير الفخر الرازي16: 118 ، دار الفكر بيروت.





## المقام السابع

الصفحة 116

لا زال خطبة السيدة فاطمة(عليها السلام) ترن في أسماع الدهر، وتتجدد على مرّ العصور مؤكدة في الوقت نفسه جوانب شخصيتها الالهية ومقامات معرفتها الربوبية مشيرة الى عظيم ما اطّلعت عليه من مكنون علمه ومخزون معرفه، والتي لا يُطلعها إلا على خاصة أوليائه وأهل صفوته وسدنَة أسراره، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولما كانت فاطمة(عليها السلام)أحد مصاديق أهل التطهير وأولي الذكر، فلا غرابة أن تفتق في خطبتها من بعض خزائن معارفه تعالى.

فهي مع ذكرها البالغ لتمام الحمد على نعمائه، وسوابغ الشكر على آلائه، والثناء لربوبيته، والتوحيد لصفاته، فهي تسوق البيان للتوحيد بما ليس معهودفي الفلسفات البشرية أنذاك من اليونانية أو الفارسية أو الهندية، ومن ظرائف التوحيد مالم يُعهد في العرفان المتداول انذاك، فانّ بيان معرفة التوحيد ينفي الصفات المشيرة للغيب المطلق، وأن الصفات الالهية تجليات أسمائية دون مقام غيب الغيوب، اذ لم يُعهد قبل الاسلام، ولم

الصفحة 117

يُبده قبل القرآن الكريم ولم يكن في متناول أفهام المسلمين في الصدر الاول، ثم شرعت في بيان سلسلة الصوادر عنه تعالى وكيفية الصدور واختلاف النشآت بما هو غير معهود في المعارف البشرية انذاك الفلسفية والعرفانية مما قد تعرّضت اليه إشارات القرآن الخفية التي لم تنلها أفهام المسلمين حينذاك.

ثم بيّنت ضرورة الشرع والشريعة، ثم بيّنت مقامات النبي(صلى الله عليه وآله)في النشآت السابقة والتعينات الخلفية للاشياء بحسب العوالم المتعاقبة وهذه من المعارف التي لم يُبح بها قبل ذلك.

ثم بيّنت فصول علوم القرآن وجوامع أبوابه فأخذت في بيان علل وحكم الاركان وأحكام الدين، مما لم تنله الاذهان قبل ذلك، ثم بيّنت بمجمل سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) وسننه وعِظم ما عاناه في الدعوة الى الرسالة، وما كابده أخاه ووزيره وابن عمّه ووصيه أمير المؤمنين(عليه السلام)، وانهما صلوات الله عليهما مشيدّا صرح الدين والدولة والنظام في الاسلام، ثم أخذت في تحليل الفتنة التي مُني بها المسلمون بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) سياسياً واجتماعياً وما سيؤول اليه حالهم لاغتصابهم الخلافة، كل ذلك بيان جزل والفاظ منمقة وتناسق أنيق تستجيب العبارات لها وتنصاع المعاني لمراداتها والحقائق التي أبرزتها، وكل ذلك من المعارف مما لم يكن متداولاً بين المسلمين، لعدم وروده فيما صدر من

الصفحة 118

أحاديث النبي(صلى الله عليه وآله) للعامّة.

فمجمل ذلك برهان على أن ذلك صادر من علم لدني، وينضح من تلك العين.

وبعبارة أخرى تسوق البيان لمقام النبوّة ومعدن الرسالة وفضلها الذي لا يحصى اذ أخرجهم الله به من ظلمات الجهل الى نور الهداية، وطهرهم من دنس الشرك بعد أن كانوا اذلاء ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب، وتهوي بهم عواصف الشرك

من مكان سحيق، وبعد أن عرّفتهم بعض مقام ابيها(صلى الله عليه وآله)عند الله تعالى وأظهرت فضله وبيّنت وهانه، وأوضحت حجته، وأعلمتهم معالم دينهم، وأركان فرائضهم وبيان حكمة كل ركن أصولها وفروعها فحلّقت بهم الى كل معرفة ربوبية، وأخذت بهم عند كل سبيل، فعرّفتهم تكليف كل قضية في دينهم ودنياهم، فكأنما كانت تؤُغ عُن لسان ابيها حكمة ومعرفة، فصاحة وبياناً، حتى كانت أول خطبة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) تُلقي عليهم الحجة، وتنذرهم بعاقبة أمرهم اذا ما هم اقاموا على غيّهم وغوايتهم وباطلهم يرون تراث رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد تناهبته الاهواء وهم قابعون، لا يدفعون يد لامس، ولا يتناهون عن باطل، ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، وليس هذا إلا عن علم الهي لدنّي لا يناله إلا حجة، ولا يحوزه إلا كل مقرّب مطهر.

الصفحة 119

اذن فاستطاعت فاطمة (عليها السلام) في خطبتها تؤكد على أمور:

أولاً: ان خطبتها كانت أول خطبة بعد خطب رسول الله(صلى الله عليه وآله)تسجلها محافل المسلمين في ذاكرتها لتولي لها اهتماماً بالغاً يؤكد اهتمام المسلمين بمقامها مما يؤكد حجيتها البالغة في مرتكزاتهم.

ثانياً: تُعد خطبة فاطمة(عليها السلام) احدى الملاحم التوحيدية التي تذكر فيها ثناء الله تعالى ووحدانيته وتشير الى نبوة محمد(صلى الله عليه وآله)وأثرها في حياة المسلمين، وتستعرض أركان الدين وما يقابلها من حكمة التشريع، وتثير تساؤلاتها بعد ذلك عن مشروعية البيعة المأخوذة تحت عنوان السقيفة ومدى صلاحية هذه البيعة المدّعاة مما تؤدي بكثير من مدعيات القوم وتعاجل مشاريعهم.

ثالثاً: حاولت السيدة فاطمة(عليها السلام) في خطبتها تعرية كل مشروع يُصاغ على النهج السياسي السقيفي مستقبلاً، وحصّنت من خلال ذلك الصيغة الاسلامية المحمدية في نظام الحكم لئلا تختلط الاوراق وتتشابك الدعاوى وكانت تنطلق في دعوتها لهم من موقعيتها في نفوسهم ومقامها لديهم الذي قد بناه القرآن النازل في حقها وتأكيدات النبي بمقامها وفضلها، والحجية في جميع ما تلقيه من حكم ومواعظ ونصائح وأحكام ومن ثم تحليل لكل القضايا التي واجهت المسلمين وستواجههم

الصفحة 120

مستقبلاً، مما يحفظ لخطبتها البليغة مكانة الحجية في مرتكزات المسلمين فضلاً عن حجيتها الثابتة بالدليل القرآني والسنة النبوية.

رابعاً: الملاحم المستقبلية التي أنبئت المسلمين بها من تفشي الفتنة فيهم والظلم والفرقة، حيث قالت: "أما لعمري لقد لفخت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً، وزعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف الباطلون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمأنوّا للفتنة جأشاً.

وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً"[1].

وقد وقع ما أخبرت به إلى حيث نرى ما يجري اليوم من ذلّ المسلمين على كثرتهم الكاثرة أمام فئة اليهود القليلة، وهم لا

يدفعون يد لامس، فعاد جمعهم حصيد، وفيئهم زهيد، وكل ذلك، فبئس ما أسسه الأولون من نظام حكم جرّ المسلمون إلى ما هم عليه اليوم.

---

1- البحار 43: 109 .





# المقام الثامن

## حجّيتها في مقام الدفاع عن علي (عليه السلام)





شهدت الساعات الاولى من رحيل النبي(صلى الله عليه وآله) صواعاً عنيفاً بين اجنحة التيارات الطامحة في الحكم، ولم يمر وقت قليل حتى تمت تصفية حسابات تنزعت من خلالها مناصب الحكم لتتفق بعد ذلك على اقصاء الشرعية الالهية المتمثلة في الامام علي(عليه السلام).

لم تكن هذه المراحل القاسية التي مرّت على الامام علي(عليه السلام)باليسيرة، بل صاحبتها محاولات لإرغام على البيعة عانى منها وأصحابه الابرار شتّى الضغوط النفسية التي حاولت من خلالها مجموعة السقيفة الى أخذ إقرار ولو شكلي على تأييد محاولات البيعة المدّعاة ليكون الامر بعد ذلك ممرراً تحت غطاء الشرعية، هكذا حاولت السقيفة اقناع عامة المسلمين، إلا أن ذلك لم يتم مع وجود فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي تتصدى لمحاولات الإرغام على البيعة التي تُطال علياً(عليه السلام) وأصحابه وذلك لما تتمتع به فاطمة(عليها السلام) من مقام الحجية المرتكز في نفوس المسلمين، اذ لازالت ذاكرة المسلمين تسجّل ما كان رسول الله(صلى الله عليه وآله)يؤكده في



فاطمة(عليها السلام) من مقام شامخ وذكر عظيم.

عن كتاب لأبي اسحاق الثعلبي عن مجاهد قال: "خرج رسول الله(صلى الله عليه وآله)وقد أخذ بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله"[1] .

وعن جابر بن عبدالله قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انّ فاطمة شجنة منّي، فمن آذى شجنة منيّ فقد آذاني،

[2]

ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السملوات والارض" .

وقد فهم المسلمون انّ اقتران اذى فاطمة(عليها السلام) بأذى رسول الله(صلى الله عليه وآله)وبالتالي هو أذى الله تعالى الذي يوجب اللعنة والعذاب الأليم، اذ لا يتم ذلك إلا لمن كان له مقام الحجية الالهية، وإلا لا يمكن أن يتم قوله(صلى الله عليه وآله)أن اذى فاطمة (عليها السلام) يعني أذاه الذي هو أذى الله تعالى، فانّ ذلك دليل الحجية التي تتمتع بها مقام فاطمة من بين المسلمين، لذا فلا يكون دخولها(عليها السلام) وسط الاحداث الملتهبة إلا اخماد لتلك النائرة التي أججتها طموحات القوم وأمانيهم مما أدى الى إرباك خططهم وتداعي كل محاولة خارجة عن نطاق الشرعية، فقد روى ابن أبي الحديد عن أستاذه النقيب أبي يحيى

---

1 - عوالم العلوم للسيد البحراني: 115 .

2 - عوالم العلوم للسيد البحراني: 115 .



جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري حين تساءل عن كلام أبي بكر بعد خطبة فاطمة(عليها السلام)وتعريضه لعلي فقال: انّه الملك يا بني قلت: فما مقالة الانصار؟ قال: هتفوا بذكر علي، فخاف من اضطراب الامر عليهم [1] .والرواية التالية ستشهد مدى تأثير الموقف الفاطمي في إرباك محاولات القوم لما إرتكز عند القوم من حجية فاطمة(عليها السلام) فضلاً عما هو مرتكز لدى المسلمين وقتذاك من النصوص القرآنية على حجّيتها وباقي الأحاديث النبوية حول مقام الزهراء من قبيل أنها سيدة نساء أهل الجنّة والذي قد روي في الصحاح وغير ذلك فكيف بمن تكون سيدة نساء أهل الجنّة لا تبايع إمام زمانها وتموت ميّتة جاهلية مع أنّه سمعوا النبي(صلى الله عليه وآله) أنهّ قال "من مات ولم يعرف أو لم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهلية" مما يدلل موقف فاطمة(عليها السلام) لهم أنّ أبي بكر لم يكن صاحب البيعة الشرعيةولا الامام الذي يبايع فقد كانت بيعة الزهراء(عليها السلام) لعليّ(عليه السلام). ويدل على مثل ذلك ما رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة انّ عمر قال لأبي بكر انطلق بنا الى فاطمة، فانا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها الى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد عليهما السلام، فتكلم

---

1 - شرح النهج لابن أبي الحديد16: 215 .



أبو بكر فقال: يا حبيبةرسول اللهوالله ان قرابةرسول الله أحب اليّ من قرابتي، وانك لأحب اليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني متولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا إني سمعت أباك رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول "لا نورث ما تركنا فهو صدقة" فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: "نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله)يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني" قالا: نعم سمعناه من رسول الله(صلى الله عليه وآله) قالت: "فانّي أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه" فقال ابو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة؟ ثم انتحب ابو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: "والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها" ثم خرج باكياً فاجتمع اليه الناس، فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسرورا بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.[1]

هذا ما أحدثه موقف فاطمة(عليها السلام) اذ لو لم يكن لموقف

---

1 – الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 17 ، دار الكتب العلمية . بيروت .



فاطمة(عليها السلام)الحجية كما هو مرتكز عند المسلمين لما طلب الشيخان الاعتذار منها، وقد ذكّرتهما بحجيتها فأقرّ لها ذلك عند قولها: "ألم تسمعا رسول الله(صلى الله عليه وآله)يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي..." فشهدا لها بذلك وأقرّا مقولتها وصدقّا حجيتها، لذا فانّ عدم رضاها عنهما دفع ابو بكر الى البكاء مما ضاق منه لعدم رضا فاطمة(عليها السلام)، ولو لم يكن لها ذلك المقام الشامخ عند المسلمين لما كانت حاجة ملحة في الاعتذار والاستشفاع لنيل رضاها لعلمهم انّه رضا الله، ولما ايقنا سخطها تبادر لهما أن سخطها سخط الله، لذا فقد استنجد ابو بكر بالمسلمين لإقالته بيعته واقراره أن سخط فاطمة(عليها السلام)يلغي شرعية نظامه من الأساس.

لذا فانّ موقف فاطمة(عليها السلام) ترك أثراً مهماً في مجريات الاحداث، اذ دفع بالقيادة الى الارتداع ولو مؤقتاً عن مواقف الابتزاز التي استعملت مع علي(عليه السلام) لأخذ البيعة قهراً.

لذا فقد قالوا: يا خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ان هذا الامر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، انّه كان هذا لم يقم لله دين فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة، قال ابن قتيبة: فلم يبايع



علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنهما[1] . مما يعني أن القيادة كانت متوجسة من اثارة غضب فاطمة(عليها السلام)بالاصرار على مبايعة علي(عليه السلام) لهم، فكانت تتحسب لمقام فاطمة(عليها السلام) حسابها متيقنة مدى خطورة حجيتها في حسم الاحداث وتوجيه المواقف اذا هم تمادوا في مضايقة علي(عليه السلام)والتشديد عليه لأخذ البيعة بعد ذلك.

ولا ننسى ما اتخذه الخليفة الاول من موقف المهادن طالما فاطمة(عليها السلام) قد دخلت في صلب الاحداث وجعل مطالبته لعلي بالبيعة مؤجلة مادامت فاطمة(عليها السلام) الى جنبه.

قال عمر: ألا تامر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه[2].

والذي نريد التأكيد عليه أن حجية فاطمة(عليها السلام) كان لها الاثر الكبير في اثبات حق علي(عليه السلام) والذي يعني من خلال ذلك اثبات مامته التي هي فرع النبوّة وكمال الدعوة، ولما كان الحال كذلك فانّ دعوة النبي(صلى الله عليه وآله) ورسالته توقفت على موقف فاطمة(عليها السلام) ودفاعها بما تملكه من حجية الهية بقاءً ودواماً.

كان لهذا الموقف الحاسم للاحداث من قبل فاطمة(عليها السلام) بياناً

---

1 – الامامة والسياسة: 17، دار الكتب العلمية . بيروت.

2– المصدر السابق: 16 .



لمن يستحق الشرعية الحاكمة، وكشفاً لمحاولات تزييف الحقائق، اذ بموقفها هذا حفظ للاسلام وجهه الناصع، واحتفظ التاريخ بوقائع هذه الاحداث، وكيف كان لموقفها (عليها السلام) دوراً في فضح المخالفات الشرعية والقانونية من اجل التوصل الى طموحات شخصية، وبالمقابل كان ذلك تعويفاً لحقوق اهل البيت(عليهم السلام) المغتصبة، اذ بعد هذا الموقف الفاطمي أمكن تعميم أحكامه على أي وجود حاكمي يخرج عن نطاق شرعية أهل البيت(عليهم السلام) مما يعني أن موقف الزهراء (عليها السلام) كان خزيناً من الشرعية الالهية يستخدمه أهل البيت (عليهم السلام) ضد أعدائهم، أي أن وقفتها هذه بمثابة وثيقة تكشف خروقات أي نظام حاكم مستقبلاً حتّى صار موقفها راسما لمسار شرعية الخلافة وفاصلا بينها وبين أي نظام مدعّى، لذا عمد بعض المؤرخين الى تشويش وقائع الاحداث والغاء المواقف الفاطمية الفاصلة، بل جرّ بعضهم الى انكار بعض هذه المواقف الفاطمية لكيلا يرضخ لمعطياته ولوازمه الشرعية التي تقضي بالغاء شرعية حكومة الشيخين، وما ذلك إلا لاقزامهم بحجية فاطمة(عليها السلام) ومقامها الالهي، فكيف تثبت بعد تعريتها لمواقف القوم حجة شرعية أو قانونية مدّعاة؟

وبعبارة أخرى: انّ موقفها من الغاصبين للخلافة واحتجاج علي(عليه السلام) بها في مواجهتهم يدلل على مدى حجيتها ومقامها في



نفوس المسلمين وفي دين الاسلام حيث لم ينفع فيهم ما قد سمعوه من أقوال النبي(صلى الله عليه وآله) وقرأوه من آيات الكتاب وما شاهدوه من معاجز علي في الحروب، فبقيت محاجتهم بها(عليها السلام) مما يدلل على تسليم المسلمين بأنها حجة في الشرع، ومن ثم دأب الاول والثاني وكثير من الصحابة على ثنيها عن السخط عليهم وعن تبريها منهم وعن مقاطعتها لهم، والحوا في استرضائها ولم يفلحوا، ومن ثَم دأب علماء العامّة على انكار مواجهتها لأهل السقيفة ومقاطعتها لهم مما يدلل على

تسليمهم لحجية فعلها في الدين ومن ثَم يخشون من سلب الشرعية عن خصومها.

الصفحة 132

الصفحة 133

# المقام التاسع

## شمولها مع أهل البيت في الايات النازلة فهيم (عليهم السلام)

الصفحة 134

اشتركت السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) مع أهل البيت (عليهم السلام) بما نزل فيهم من آيات، وكان ذلك اشتراك حجية وشمول منزلة ولزوم طاعة لولايتها(عليها السلام) فضلاً عما ورد من أحاديث نبوية تشير الى منزلة أهل البيت(عليهم السلام) وتؤكد في الوقت نفسه حجيتهم، وكان لفاطمة(عليها السلام) اشتراكها مع أهل البيت(عليهم السلام) كذلك.

واستعراض موجز لبعض ما نزل من آيات في أهل البيت(عليهم السلام)يمكن أن يكون أحد الشواهد على حجيتها (عليها السلام) منها قوله تعالى **{قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى}**[1] وقوله تعالى **{قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري إلا على الله}**[2] وقوله تعالى **{قل ما سألتكم من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا}**[3].

روى السيوطي في احياء الميت بفضائل أهل البيت(عليهم السلام)،

---

1 – الشورى: 23 .

2– سبأ: 47 .

3 – الفرقان: 57 .

الصفحة 135

قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال(صلى الله عليه وآله): "علي وفاطمة وولداهما"[1].

والمتمعن في هذه الآيات وغيرها، ليجد لسان المودة هي ولايتهم(عليهم السلام) فالحث على مودتهم هو أجر الرسالة بمجموعها وجميع أتعابه(صلى الله عليه وآله)، فلم يسألهم مالاً ولا ضياعاً بل سألهم التمسك بمودتهم وحبهم.

واذا كان الاجر يعني التساوي بين متبادلين، اذ لا يصح أن أحد البدلين أقل من الاخر، لئلا تكون في الاجرة غبناً لا يرتضيه العقلاء، فكذلك أجر ما طلبه(صلى الله عليه وآله) منهم قُبالة دعوته هذه وهي مودة أهل بيته (عليهم السلام)،ولا يصح أن تكون مودتهم أقل من رسالته لئلا يكون غبناً وتفويطاً لحق رسالته وهو ما لا يرتضيه أحد يخشى الله ورسوله واليوم الاخر، واذا كان الامر كذلك فانّ مودتهم(عليهم السلام) عِدل الدين وثمرة الرسالة.

وببيان آخر: انّ الرسالة مما قد اشتملت على التوحيد والتصديقبالنبوّة والمعاد وبقية الحقائق الحقةّ وعلى أركان الدين،ولا يتصور أن يكون شيئاً عدِلا لًها إلا أن يكون على درجة من الخطورة والمتولة بحيث لا يقبّل الإيمان بتلك العقائد والعمل

---

1- احياء الميت بفضائل أهل البيت(عليهم السلام) للسيوطي: 35 ، دار الثقلين . بيروت.



بتلك الاركان إلا به، فلا يمكن أن يكون ذلك حكماً فوعياً من ذيول بعض فروع الدين، ويكون شوطا ًفي اعظم أصول الدين، بل الشوطية والعدلية تقتضي بالبداهة كون متولة هذا الأمر من الأمور الاعتقادية بل من اصولها بمقتضى التناسب بين الشوط والمشروط، وبين العدل وعِدلهِ الآخر، ومن ثمَ سوف لا يكون المراد من المودةّ.والتي تختلف لغة عن المحبة تزيادة شدة الوطأة . إلا فعلاً من الأفعال القلبية الاعتقادية وهي الولاية والتولي من تلك الجماعة المرادة من "القربى" ومقتضى ذلك أيضاً أن لا تكون تلك المجموعة أو الثلة إلا معصومة مطهرة اذ لا يعقل أن تكون مودة وتولي والاعتقاد بشخص أو جماعة مخالطين للذنوب أو الجهل هي من أصول الدين، وعِدل للتوحيد والعقائد الحقةّ، ومن ثمَ جعلت هذه المودةّ هي السبيل إلى الله والمسلك إلى رضوانه، وجُعلت في آية ثالثة فائدتهاراجعة إلى المكلفين أنفسهم، أي أنّ هذا الأجر ليس من سنخ أجور النشأة الدنياوية والانتفاعات المادية، بل أن ثمرته هو الاهتداء والرشاد بتولي ذوي القربى، كما هو مفاد حديث الثقلين "ما أن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبدا" وما أشد مطابقة آية المودة مع حديث الثقلين، بل انّ الآية المزبورة هي من متون حديث الثقلين ذات السند القرآني، فليس ما قد ورد في جميع



الانبياء من قولهم (لا أسألكم عليه أجراً إن أجري على اللّه)، يغاير ما أمر اللهّ تعالى ما أمر به نبي الاسلام من طلب الأجر، اذ انّ هذا الأجر ليس عوض مال، وانمّا هو اكمال للدين واتمام للنعمة على المسلمين ورضا الرب بذلك، اذ لا يتم الرضا إلا باستيفاء الأجر العائد نفعه للمسلمين لا له(صلى الله عليه وآله)ولأهل بيته المعصومين(عليهم السلام).

وهذا المفاد قد ورد بعينه في الآيات النازلة في الحثّ على ولاية أمير المؤمنين(عليه السلام) حيث جعل عدم تبليغ ولايته مساو لعدم تبليغ الرسالة، ممّا يقتضي أن ولايته هي عِدل الدين وثمرة الرسالة وتمام نعمة الإيمان ورضا الرب بالاسلام دينا ً فبدونها لم يرتضِ تعالى توحيد العباد به ولا تصديقهم بنبيّه وباليوم الآخر مالم يوالوا وليه كما لا يكمل توحيد الناس واقرارهم بالبعثة والمعاد إلا ولاية وليه تعالى كما لا تتم لهم نعمة الايمان لهم إلا بذلك، فليتدبر الناظر وفاق هذه الآيات بعضها بعضاً مع حديث الثقلين ليتجلى له وحدة المضمون كما في قوله تعالى **{يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته}**[1] فلما بلّغ في علي ولايته وامامته نزل قوله تعالى

---

1- المائدة: 67 .

{اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا}[1] وهو تصريح بأن ولاية علي بن أبي طالب(عليه السلام)تعني كمال الدين وتمام الايمان وعِدل الرسالة، كما أن المودة تُعطي مفهوم الولاية أيضاً، فلا ولاية دون مودة فانّ مفهومي الولاية والمودة تعنيان تمام الدين كلّه، وبتلك الدرجة وجبت ولايتهم ومودتهم وقدمّنا أن آيات المودة كانت تشترك فيها فاطمة(عليها السلام) مع أهل البيت الذين نزلت فيهم والتي هي أسبق في صدق العنوان، وبما أن مودتها واجبة فانّ ولايتها واجبة للتقريب المتقدم بين مفهومي المودة والولاية.

وبذلك تثبت وجوب ولاية فاطمة(عليها السلام) ومودتها لنفس الغرض. وبمقتضى أنها(عليها السلام) من العترة كما في آية التطهير والمودة وغيرهما، فهي من الثقل الثاني، عدل القرآن الكريم الواجب على الامة التمسك به، فالتمسك بها شرط الهداية والأمان من الغواية والضلالة،ولا يخفى أن مقتضى حديث الثقلين عصمة العترة وحجيتهم واحاطتهم بالكتاب كله، وانهم القيمون على تفسير كتاب الله وبيان دلالاته، كما أنها شاهدة على أعمال العباد وداخلة في قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) لما تقدم من انها من عباد الله كما في سورة الدهر

---

1- المائدة: 3 .



الذين لهم مقام الاشراف على الابرار، فهم المقربون الذين يشهدون كتاب الابرار في عليين كما في سورة المطففين.

كما أنها الوسيلة والسبيل الى الله تعالى لقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وقوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) فهي الوسيلة والسبيل الى الله والمسلك الى رضوانه، كما أنها المصطفاة لوراثة كتاب الله كما في قوله تعالى {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات}[1] حيث أن المورث المصطفى لكتاب الله هو السابق بالخيرات لما تقدم من أن المطهر هو الذي يمس الكتاب كما في سورة الواقعة ومن ثم هي (عليها السلام)من الذين أوتوا العلم الذين في صدورهم الكتاب آيات بيّنات كما في قوله تعالى {بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم}[2] وهي كلمات الله التامات وأسمائه الحسنى التي اليها الاشارة في قوله تعالى {فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه}[3]

---

1-فاطر: 32 .

2- العنكبوت: 49 .

3 - البقرة: 37 .



(1)

وقوله تعالى: {واذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهن} وقوله تعالى: {وتمت كلمات ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم}[2] وقوله تعالى في ابراهيم {وجعلهاكلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون}[3] اذ هي من العاليين الذين هم الانوار الخمسة التي تعلّم آدم أسمائها، وبمعرفتها تأهل آدم لمقام خلافة الله في أرضه والتي أشير اليها باسم الاشارة العاقل في سورة البقرة، وضمير الجمع العاقل كما في قوله تعالى: {فلما عرضهم على الملائكة قال انبؤني بأسماء هؤلاء}[4] وبهذا التنبيه والاشارة يتفطن اللبيب الى اشتراكها(عليها السلام)مع أهل البيت بل سائر ما ثبت لهم من منازل ومراتب ومقامات قرآنية.

---

1 – البقرة: 124.

2– الانعام: 115 .

3 – الزخرف: 28 .

4 – البقرة: 31 .





# المقام العاشر

## ولايتها (عليها السلام) في ألامور العامة





بما فيها الاموال العامّة وذلك لدخولها في عنوان ذوي القربى، بل هي أول من يصدق عليها هذا العنوان فلم يكن أحداً أولى بالنبي منها(عليها السلام) فتدخل في ذوي القربى اللازم مودتهم أي اللازم ولايتهم، والتي تعني ولايتها(عليها السلام)، وهي عامة كما تدخل في الولاية المفادة في آية الانفال والفيء والخمس المقتضية لكون ادارة الاموال العامة تحت نظرها بل ذلك هو عين الولاية في الامور العامّة، لأنه ملكية التصرف في كل الارض وهو عين ماهية الولاية المزبورة، مع أنها(عليها السلام) ليست بامام تستقل في تلك الولاية، بل بالمشاركة مع النبي والامام بنحو طولي وقد نصّت الآية في قوله تعالى {وآت ذا القربى حقه}[1] بأنها نزلت فيها(عليها السلام)للروايات المتواترة بين الطرفين، كما أن دخولها في ذلك العنوان(عليها السلام)لأسبقية رتبتها في تولي النبي(صلى الله عليه وآله) مقتضي لكونها وارثة روحية لمقامات النبي(صلى الله عليه وآله) كما هي وارثة بدنية له(صلى الله عليه وآله) أي تكويناً وتشريعاً، والاول بلحاظ الكمالات المعنونة والمقامات

1 – الاسراء: 26 .



الملكوتية، والثاني بلحاظ المناصب والاموال الاعتبارية إلا ما خصصه الدليل كالامامة. وقد وردت الاشارة الى هذه الوراثة في زيارتي الحسين(عليه السلام) يوم عرفة ما نصّه: "السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء"[1] وفي زيارة مطلقة له(عليه السلام) كذلك[2] كما ورد في زيارة الامام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) ما نصه: "السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء"[3] مما يدلل على وقوعها في سلسلة الوراثة اللدنية النورية للمعصومين الاربعة عشر(عليهم السلام) ومجمل مقاماتهم.

ففي المقام جهات:

**الجهة الاولى: ولايتها في الأموال العامّة**

انّ ادارة الاموال العامّة هو من منصب ذوي القربى، ويدلّ عليه قوله تعالى **{وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول**

1 – مصباح الزائر لابن طاووس 348 والمزار للشيخ المفيد86 ، والشهيد في مزاره:170 ، وابن المشهدي في مزاره:667، وابن طاووس في الاقبال:332، والمجلسي في البحار101:365.

2 – كامل الزيارات لابن قولويه: 376 ، والبحار101:63 ، المزار الكبير لابن المشهدي عنه البحار101:65، مصباح الزائر لابن طاووس: 134 ، وكذلك في مزار التهذيب للشيخ الطوسي.

3 – من لا يحضره الفقيه2:604 ، كامل الزيارات لابن قولويه:518.



**ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم}**[1] .

وكذا قوله تعالى **{يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله وللرسول فاتقوا وأصلحوا ذات بينكم وأطيعو الله ورسوله ان كنتم مؤمنين}**[2] .

وقوله تعالى **{واعلموا أنما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير}**[3] .

ومن المقرر والمحرر في محله كون الانفال هي الفيء بعينه، وقد جُعلت ولايته وملكية التصرف فيه لله وللرسول ولذي القربى. والانفال والفيء كما هو محرر في الفقه، عموم الموارد والمنابع الطبيعية أي الثروة في بلاد المسلمين، وهي كل أرض جلى عنها أهلها أو سلموها طوعاً بغير قتال أو كانت خربة بادَ أهلها وكل مالم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ورؤوس

الجبال وبطون الاودية والاجام والموات التي لا أرباب لها والمعادن

---

1- الحشر: 6 - 7 .

2- الانفال: 10 .

3- الانفال: 41 .



وصفايا الملك وقطائعهم وما يصطفى من الغنيمة في الحرب، ومواث من لاوارث له، والغنائم من الحرب والقتال بغير اذن الامام.

وكذا الحال في ضريبة الخمس سواء في غنائم الحرب ومطلق ما يغنمه الانسان في كسبه من ارباح التجارات والصناعات وغيرها.

وكذلك ما يستخرج من معادن وكنوز وما يستخرج بالغوص، والمال المختلط بالحرام لأجل تطهيره وأرض الذمي اذا اشتراها من مسلم، وقد جبى رسول الله(صلى الله عليه وآله) الخمس من المسلمين من أرباح مكاسبهم كما دلّت على ذلك مصادر الفريقين [1] .

---

1 - كما هو الحال في أخذه من قبيلة عبد قيس حيث قال لهم(صلى الله عليه وآله) "وتعطوا الخمس من المغنم" صحيح البخاري1:22 .32 . 139 و2:131 و4:205 و5:213، و9:112 وكذلك صحيح مسلم 35 - 36 ، وسنن النسائي2:333، ومسند أحمد1:228،361 ، و3:318 ، و5:36 ، وسنن أبي داود3:330 ، و4:219 ، والترمذي باب الايمان والاموال لأبي عبيدة:20 ، وفتح الباري1:120 ، وكنز العمال1: 19 - 20 حديث6 ، والصحيح من سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) للسيد جعفر مرتضى العاملي3:380.

وكذا أخذ النبي(صلى الله عليه وآله) من بني زهير العكليين من مضر في سنة الوفود 9 هـ كما في الطبقات قال: واقروا في الخمس في غنائمهم. الطبقات الكبرى لابن سعد1:279 ، وكنز العمال2:271 ، وسنن ابي داود في كتاب الخراج2:55 ، وسنن البيهقي6:303 ، و7:58 ، و9:13 ، ومسند أحمد5:77 ، 78 ، 383 ، والاموال لابي عبيدة:12 ، وأُسد الغابة5:40،389، وجمهرة أنساب العرب1:68، وصبح الاعشى3:323، والاغاني19:158 ، ونصب الراية للزيعلي:5، وسنن النسائي2:179.

وكذلك أخذ من وفد بني البكاء من بني عامر من العدنانية من رئيسهم فجيع بن عبدالله كما في الطبقات لابن سعد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أسلم وأقام الصلاة وأتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم خمس الله.. الطبقات لابن سعد1:274 ، واسد الغابة4:175 ، والاصابة4:696.

وأيضاً أخذ من أهل اليمن كما في فتوح البلدان قال: كتب النبي(صلى الله عليه وآله)لعمرو بن حزم حين بعثه لليمن: ان

يأخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعض. فتوح البلدان1:84 باب اليمن وسيرة ابن هشام4:595 ، وتاريخ الطبري1:1727 ، وتاريخ ابن كثير5:76 ، والخراج لابي يوسف:85 ، والحاكم في المستدرك1:309 – 396، وكنز العمال5: 517.

وفي تاريخ اليعقوبي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أرسل كتاباً مع معاذ بن جبل الى اليمن وفيها: وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي والصفي وما على المؤمنين من الصدقة. تاريخ اليعقوبي2:64 ، وفتوح البلدان: 83 ، والطبقات الكبرى1:261 ، راجع كتاب الخمس للشيخ نوري الهمداني قد ذكر أكثر من عشرة موارد بل أكثر ص 87 . ص110 ، وكذا السيد جعفر مرتضى العاملي في الصحيح من سيرة النبي(صلى الله عليه وآله) 3: 308 – 312، وكذا البحار 21: 360 – 363 وغيرهم كثير.

الصفحة 148

وضريبة الخمس من أكبر الضرائب المقننة في الشريعة الاسلامية، فهي تفوق الزكاة.

ومن المقرر في الفقه أن ولاية الخمس وملكية التصرف فيه

الصفحة 149

هي لله وللرسول ولذي القربى وذلك لمكان اللام . لا الملكية . في الآيات (لله وللرسول ولذي القربى) وهذه بخلاف الموارد الثلاثة الاخرى وهي (اليتامى والمساكين وابن السبيل) مما يدلل على أن الاخيرة مصرف . أي مورد للصرف . من دون أن يكون ملكاً لهم ولا ولايته راجعة لهم، وغيرها من الادلة الدالة على ذلك كالروايات المستفيضة وقد علل تقنين ولاية الاموال العامة لذوي القربى في سورة الحشر بأن الحكمة فيه هي إرساء العدالة الاقتصادية والمالية في المجتمع المسلم وإزالة الطبقية الفاحشة فلا تكون الثروة عندئذ حكراً متداولاً بين الاغنياء (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) وقد شددت كلاً من سورتي الحشر والانفال على خطورة هذا المقام وان اغتصابه يقابل بشدة العقاب من الله تعالى وبزوال الايمان لقوله تعالى(ان كنتم مؤمنين). هذا ما قد حدث فعلاً، حيث أن باغتصاب هذا المقام بدأ التفاوت الطبقي في الأموال العامة حتى خصصت بعض زوجات النبي(صلى الله عليه وآله) في العهد الاول وبعض رموز السقيفة باعطيات من بيت المال دون سائر المؤمنين واستثنى ذلك أكثر في عهد الثاني حيث فرّق في العطاء بين المهاجرين والانصار [1] ، وبين العرب والعجم، وبين الاسود والابيض وبلغ ذروته في عهد

---

1 –راجع الطبقات لابن سعد3:219 ، وتاريخ اصفهان2:290.

الصفحة 150

الثالث حتى ثار عليه المسلمون . كما هو معروف في مدونات التاريخ ..

**الجهة الثانية: المراد من ذوي القربى**

انّ المراد بذوي القربى في الآيات السالفة من آيات الفيء والخمس، خصوص فئة معينة من ذوي القربى، لا كل ذوي القربى، أي الفئة التي تتصف بالعصمة عن الخطأ والجهل ولها مقام وشأن الحجية الالهية، ويشهد لذلك أمور:

الاول: انّه قد علّل جعل ولاية الاموال العامة في آية الفيء والانفال بما تقدم ذكره. عند الجهة الاولى. وهو إرساء العدالة الاجتماعية في التوزيع المالي وغيره من الانشطة المالية، وبالتالي يتم تحقيق العدالة الاقتصادية، وينعدم الفارق الطبقي الفاحش ومن ثمّ فلا تكون هناك طبقات مسحوقة، ومن الواضح ان هذه الغاية تحتاج الى كفاءة ذات صفة علمية خاصة وصفة عملية خاصة، أي أن الكفاءة العلمية يجب أن تبلغ درجة كفيلة بالاحاطة بالأمور سواء من جهة موضوعات الابواب المالية أو من جهة مجموعة القوانين الشرعية كما هي في اللوح المحفوظ، فلا يعيقه عدم الالمام بأطوار الانشطة المالية، ومدى سلامتها وصحتها الشرعية. القانونية، كما لا يعيقه الجهل بالطرق

الصفحة 151

والحلول المالية المواكبة لتطورات مناخ الحياة الاجتماعية المستجدة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر يجب أن تكون امانته والصفة العملية فيه بدرجة يكون معصوماً عن اتباع الهوى أو العصبية فلا يؤثر فئة على اخرى، أي عدم تخصيص فرص المال بفئة دون أخرى، كما لا تحمله العصبية والغضب للاقدام على حرمان جماعة أو قوم دون اخرين، وهذا لا يتوفر إلا في من عُصِمَ من ناحية العلم والعمل.

الثاني: انّ مقتضى آية التطهير هو عصمة خصوص أصحاب الكساء من ذوي القربى دون غيرهم، ومقتضى المناسبة مع مقام الولاية على الأموال العامّة تخصيصها بالمطهرين دون غيرهم من ذوي القربى.

الثالث: انّ مقتضى عنوان القرابة الذي خُصِص بهذا الشأن انطباقه على الأقرب فالأقرب بحسب القرب في الرحم، كما هو الحال في كل مورد تنتقل ولاية الشخص الى ولاية الأقرب فالأقرب والذي يليه.

الرابع: ما سيأتي في الجهة اللاحقة تطبيق النبي(صلى الله عليه وآله) في روايات الفريقين عنوان القربى على فاطمة(عليها السلام) وكذا على أصحاب الكساء، وقد تقدم في الجهات السابقة.

الصفحة 152

فتحصّل من الجهة الثانية إرادة ذوي القربى المعصومين(عليهم السلام).

## الجهة الثالثة: الزهراء(عليها السلام) أول من ينطبق عليها ذوي القربى

انّ أول من ينطبق عليه عنوان ذوي القربى رتبة هي الصديقة الزهراء صلوات الله عليها وذلك بمقتضى بنوتها له(صلى الله عليه وآله) فهي أقرب رحماً، ويشهد لذلك أيضاً ما نزل من قوله تعالى **{وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل...}**[1] حيث دعا(صلى الله عليه وآله)فاطمة(عليها السلام)فأعطاها فدكاً كما في روايات الفريقين[2].

فيستنتج من ذلك أن أول من يصدق عليه (ذوي القربى)في آية الانفال وآية الخمس هي الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبالتالي فهي ممن جعل لهم مقام الولاية في الاموال العامة وان لم تكن اماماً.

**الجهة الرابعة: إذنها في الخمس والأنفال بمقتضى ولايتها(عليها السلام)**

ما ورد في روايات اباحة الخمس والانفال لشيعتهم المحمول على الموارد المخصوصة الثلاثة فقوى ونصاً قد تضمنت تلك الروايات اذن الصديقة (عليها السلام) في ذلك بجانب اذن الرسول(صلى الله عليه وآله) واذن الامير واذن الحسنين وباقي الائمة (عليهم السلام).

---

1 – الاسراء: 26 .

2– وستأتي في الجهة الخامسة ذكر المصادر.



وهذا يؤكد الاستفادة السابقة في الجهات المتقدمة من أن تدبير وولاية الاموال العامّة كان ثابتاً للصديقة الزهراء(عليها السلام) في حين ثبوته للأئمة وان لم تكن هي إماماً. وهذه الاباحة في الموارد الخاصة منهم(عليهم السلام) ومنها كذلك متسالم عليه ومقتضاه التسالم على المفاد المزبور.

كما أن ذلك يشهد لما تقدم من عدم منافاة ما دل من الروايات المستفيضة والمتواترة على تفسير ذوي القربى بالامام عدم منافاته مع صدق عنوان ذوي القربى عليها أيضاً في آيات الانفال والخمس، مع أن في بعض روايات الخمس والانفال تفسير ذوي القربى بالحجة في زمانه، وهذا عنوان منطبق عليها.

فمن هذه الروايات:

1 – رواية أحمد بن محمد المعتمدة في العديد من أحكام باب الخمس، في حديث قال(عليه السلام): "والذي للرسول هو لذوي القربى والحجة في زمانه فالنصف له خاصّة"[1].

2 – ومن تلك الروايات صحيحة الفضيل عن أبي عبدالله(عليه السلام)قال: "من وجد برد حبنا في كبده فليحمد الله على أول النعم، قال: قلت: جعلت فداك ما أول النعم؟ قال: طيب الولادة، ثم قال ابو عبدالله(عليه السلام): قال أمير المؤمنين(عليه السلام) لفاطمة(عليها السلام): أحلي نصيبك من

---

1 – الوسائل كتاب الخمس باب الاول حديث 9 .

الفيء لاباء شيعتنا ليطيبوا، ثم قال ابو عبدالله(عليه السلام): انا أحللنا أمهات شيعتنا لأبائهم ليطيبوا"[1].

3 .وفي قوية عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: "قال ابو عبدالله(عليه السلام): على كل امويء غَنمِ َأو اكتسب الخمس مما أصاب لفاطمة(عليها السلام)، ولمن يلي امرها من بعدها من ذريتها الحجج على الناس فذاك لهم خاصة، يضعونه حيث شاؤوا، اذ حرّم عليهم الصدقة الى اخر قوله"[2].

ومحل الاستشهاد في هذه الرواية موضعين:

الاول: تصويحه(عليه السلام) بأن ذي القربى هي فاطمة(عليها السلام).

الثاني: تخصيص ما لفاطمة(عليها السلام) منولاية التصوف وملكية التدبير، بانتقاله الى الحجج المعصومين من ذريتها دون باقي

---

1 – الوسائل كتاب الخمس، أبواب الانفال الباب الرابع حديث10.

2 – التهذيب باب الخمس والغنائم باب 35 المجلد157:4 حديث5 . بل معتورة بعبداللّه بن القاسم الحضرمي وهو وإنرمُي بالوقف والغلو إلا أن العلاّمة نفى عنه الغلو. وروى عنه محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب بسند صحيح، وروى عنه أحمد بن محمّد بل الظاهر من الشيخ في الفهرست انّ الذي يروي عنه كتابه هو محمدّ بن الحسين ابن أبي الخطاب الذي هو من الكبار الأجلاء الكوفيين، مما يظهر اعتماده على كتابه. وقد اعتمده الصدوق أيضاً في المشيخة، بل اعتمد كتابه، وقد استظهر بعض الرجاليين اتحاده مع عبداللّه بن القاسم صاحب معاوية بن عمار، وروى عنه غير واحد من الثقاة. فلاحظ المعاجم الرجالية.



ذريتها، الدال على الوراثة في المناصب الالهية او الولاية في الامور العامّة لا في الشؤون الفردية العادية التي يستوي فيها المعصوم مع غير المعصوم في الارث، مما يعني أن لها هذا المقام والمنصب الالهي والولاية في ادارة الاموال العامة.

وبتعبير آخر: أنه كما أنولاية الله أو الرسول في الخمس باقية الى يوم القيامة بمقتضى آية الخمس والانفال والفيء كذلك الحال فيولاية الزهراء(عليها السلام) في الخمس والانفال والفيء باقية دائماً في طولولاية الله ورسوله، وأن غاية الامر أن الائمة من ذريتها ينوبون عنها فيما لها منولاية.

على أنولاية الرسول(صلى الله عليه وآله) قائمة بالفعل الى يوم القيامة والمبلّغ عنه اوامره ونواهيه بعد ارتحاله الشريف هو الامام القائم الحي، وهذا أمر مرتكز عند كل متشرع بدين الاسلام، نظير ما احتج الامام الحسين(عليه السلام)على ابن عباس في خروجه الى العراق بأمر النبي(صلى الله عليه وآله) ايّاه في الرؤيا.

4 .طائفة من الروايات العديدة التي فسرت ذوي القربى بأهل البيت وفاطمة(عليها السلام) منهم بمقتضى آية التطهير والنصوص المستفيضة والمتواترة فيها[1].

ونموذج من تلك الطائفة صحيحة أبي خالد الكابلي عن أبي

---

1 – يلاحظ ابواب الخمس والانفال في الوسائل والكتب الاربعة.



جعفر(عليه السلام) قال: "وجدنا في كتاب علي(عليه السلام) أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الارض، ونحن المتقون، والارض كلها لنا"[1] الحديث.

5 . ما يأتي من الروايات في الجهة اللاحقة في قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) أن المراد بذوي القربى اولهم فاطمة (عليها السلام).

**الجهة الخامسة: الآية تُثبت كونها(عليها السلام) أبرز أفراد ذوي القربى**

قوله تعالى **{وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل}**[2] .

والبحث في هذه الآية موضوعاً ومحمولاً دال على كون ذوي القربى المراد بهم في أبرز أفراده هي فاطمة(عليها السلام) من ناحية الموضوع، ومن ناحية المحمول المراد بالحق هو ملكية تصرّفها في الاموال العامّة من الانفال والفيء وملكيتها في الخمس، على أن الآية نزلت في فاطمة(عليها السلام) كما هو عليه الفريقان، فممن روى أنها نزلت في فاطمة(عليها السلام)ما في معراج النبوّة قال لما نزل جبرئيل الى رسول الله بقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه)قال رسول الله "من ذو القربى وما حقّه؟ قال: هو فاطمة فاعطها فدك"[3] .

---

1- الكافيج1: 407 .

2 – الاسراء: 26 .

3 – معراج النبوّة ج1:227 ، وممن روى ذلك: مجمع الفوائد عن أبي سعيد وكذلك العلامة القندوزي في ينابيع المودة:119 ، والثعلبي في تفسيره في شأن نزول الاية، والعلامة الالوسي في تفسيره روح المعانيج15ص58 كما اخرج ذلك ابن جرير الطبري عن علي بن الحسين(عليه السلام). والحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل عند مورد نزول الآية. والعلامة الكاند هلوي الهندي في حياة الصحابة ج2 ص519 ، والعلامة ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ج3: 367 ، وغيرها من المصادر.



**الجهة السادسة: ثبوت الخمس لها ومطالبتها**

به يقتضي ولايتها العامّة

انّ ثبوت حقها في الخمس بعنوان ذوي القربى ومطالبتها به عند مخاصمتها لأبي بكر محتجة على ذلك لكونها أول قرابة

النبي(صلى الله عليه وآله) . كما قد تبيّن ذلك في الجهة السابقة . مقتض لثبوت ولايتها العامة، وان لم تكن اماماً وذلك لأن الخمس أكبر ضريبة مالية في التشريع الاسلامي، وهي تزيد على حاجات بني هاشم .زادهم الله شرفا. اذ الخمس كما هو واضح هو 20 % من مجموع رساميل الامة، وهذا المقدار الهائل من المال مقوم لمقام الولاية العامة على الناس، وهذا ما دفع أهل السقيفة والانظمة المتعاقبة بعدهم الى منع الخمس عن أهل البيت(عليهم السلام) حيث قد فطنوا الى ما يعنيه الخمس من الولاية العامة وهو ما أفصح عنه قول عمر الى أبي بكر عندما أشار اليه بمنع الخمس عن أهل البيت(عليه السلام) علل



ذلك بأن الخمس موجب لحكومة أهل البيت على الناس حيث قال: انّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها فامنع عن علي الخمس والفيء وفدك فانّ شيعته اذا علموا بذلك تركوا علياً رغبة في الدنيا وايثاراً ومحاباة عليها [1] .وهو ما دعى عمر بن الخطاب كذلك أن يقول في مخاصمته للصديقة(عليها السلام): وأنت تدّعين أمراً عظيما يَقع فيه الودة بين المهاجرين والانصار [2] ودعاه إلى أن يقول أيضاً: فضعي الحبال في رقابنا [3] ، قال المجلسي في شرحها: أي انّك إذا أعطيت ذلك وضعت الحبل على رقابنا وجعلتنا عبيداً لكِ، واذا حكمت على مالم يوجف عليه أبوك بأنها ملكك فاحكمي على رقابنا أيضا بالملكية.

وفي سنن البيهقي في باب سهم ذوي القربى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيت علياً(عليه السلام) عند أحجار الزيت فقلت له: بأبي وأمي ما فعل ابو بكر وعمر في حقكم أهل البيت الخمس؟ قال(عليه السلام):"انّ عمر قال لكم حق ولا يبلغ علمي اذا كثر أن يكون لكم كله، فان شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم فأبينا عليه

---

1 – مستدرك الوسائل أبواب قسمة الخمس باب أول حديث 10 .

2 – بحار الانوار 29:197.

3 – الكافي 1: 543 .



إلا كلّه، فأبى أن يعطينا كله" [1] .ولأجل ذلك تشدد ابو بكر وعمر في منع الخمس عنهم.

وفي تفسير الطوي عن قتادة أنه سأل عن سهم ذي القربى فقال: كان طعمة لرسول الله(صلى الله عليه وآله)، فلما توفي حمل عليه ابو بكر وعمر في سبيل الله صدقة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) [2] .

وفي سنن البيهقي أيضاً عن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة(عليها السلام)الى أبي بكر قالت: ما بال الخمس، قال: اني سمعت رسول الله يقول اذا أطعم الله نبياً طعمة ثم قبضه كانت للذي يلي بعده، فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين [3] .

وفي مسند أحمد وسنن البيهقي كان ابو بكر يقسّم الخمس نحو قسم رسول الله غير أنه لم يكن يعطي قربى رسول الله(صلى الله عليه وآله)ما كان النبي يعطيه منه [4] .

وهذا كما ترى اقرار من أبي بكر بكون جعل الخمس لذوي

1- سنن البيهقي6: 344 ورواه الشافعي في مسنده في كتاب قسمة الفيء:187.

2 - تفسير الطوي10:6 .

3 - سنن البيهقي6:303 ، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد5:341 وقال: ورواه أحمد ورجاله صحيح، وفي صحيح ابي داود3:145 باب أن ابا بكر لم يكن يعطي قربى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الخمس ما فرض الله لهم .

4- مسند أحمد 4: 83 وسنن البيهقي6:342.



القربى هو من شؤون ولاية أهل البيت العامّة وبالتالي من شؤون ولاية الزهراء(عليها السلام) في الامور العامّة وان لم تكن اماماً.

## تأملات جديدة في محاججات فدك

بل انّما نسبه ابو بكر الى الرسول(صلى الله عليه وآله) من القول ما تركناه صدقة حجة على أبي بكر تخصمه من جهتين:

الأولى: هب أن الخمس والفيء والانفال الخاص برسول الله(صلى الله عليه وآله) كما يقر بذلك ابو بكر وليس هو للمسلمين . هو صدقة قد تصدق بها رسول الله(صلى الله عليه وآله) في سبيل الله، الا أن الكلام في من تكون له النظارة والاشراف على تلك الصدقة المسبلة فانّ الذي يخلف المتصدق في الصدقات المسبلة والصدقات الجارية هو وارث المتصدق لا الاجنبي، فأحق من يقوم مقام رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويكون ناظراً في صدقاته الجارية هو ورثه، وهي الصديقة الطاهرة(عليها السلام)، ومن ثم هي التي يكون لها الولاية العامة على هذه الاموال فيعود ما رواه خاصماً له داحضاً لدعواه.

الثانية: أن ابا بكر بوضع يده على الخمس مبرراً ذلك بأنه لولي الامر ولاية عامة اقرار منه بأن جعل الخمس لذوي القربى منه تعالى مقرونين بالرسول هو جعل للولاية العامة لهم ولولاية الامر.



هذا وقد أشار الى ذلك . أي أن مقتضى اختصاص الخمس بذوي القربى هو ولاية عامة . الفقيه الامام السيد الخميني رحمه الله تعالى بقوله: الخمس أحد الموارد الضخمة التي تصب في بيت المال ويشكّل أحد مصادر المزانية وبحسب مذهبنا يؤخذ الخمس بشكل عادل من جميع المصالح سواء الزراعة أو التجارة أو المصادر المخزونة في جوف الارض أو الموجودة فوقها وبشكل عام من جميع المنافع والعوائد بنحو يشمل الجميع من بائع الخضار على باب المسجد الى العامل في السفن أو من يستخرج المعادن فهؤلاء عليهم دفع الخمس من أرباحهم بعد صرف المصارف المتعارفة الى الحاكم الاسلامي لكي يضعه في بيت المال، ومن البديهي أن مورداً بهذه العظمة انمّا هو لأجل ادارة بلد اسلامي وسد جميع حاجاته المالية فعندما نحسب ارباح جميع البلدان الاسلامية أو جميع أنحاء الدنيا فيما لو صارت تحت الحكم الاسلامي . يتضح لنا أن الهدف في وضع ضريبة كهذه ليس مجرد سد حاجة السادة الهاشميين وعلماء الدين بل ان القضية أهم من ذلك فالهدف هو سد الحاجة المالية لجهاز

حكومي كبير ففي ما لو قامت الحكومة الاسلامية فيجب أن تدار بواسطة هذه الضوائب من الخمس والزكاة. ومقدار الزكاة بالطبع ليس كبيراً والجزية والخراج (الضوائب على



الاراضي الوطنية الزراعية). فالسادة الهاشميون ليسوا بحاجة الى موانية كهذه اذ خمس ارباح سوق بغداد يكفي للسادة ولجميع الحوزات العلمية وجميع فقراء المسلمين فضلاً عن أسواق طهران واسطنبول والقاهرة وسائر الاسواق، فتعيين الموانية بهذه الضخامة يدل على أن الهدف هو تشكيل حكومة وادارة بلد.[1]

وأخرج المجلسي في البحار عن مصباح الانوار عن ابن بابويه مرفوعاً الى أبي سعيد الخدري قال: "لما نزلت (وآت ذا القربى حقه)قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة(عليها السلام)[: لكِ فدك" وفي رواية أخرى عنه أيضاً مثله، وعن عطية قال: "لما نزلت (وآت ذا القربى حقه)دعا رسول الله(صلى الله عليه وآله) فاطمة فأعطاها فدك" وعن علي بن الحسين(عليهما السلام)قال: "اقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة فدك" وعن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: "قلت أكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) أعطى فاطمة فدك؟ قال: كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقفها فانزل الله (وآت ذا القربى حقه)فاعطاها رسول الله(صلى الله عليه وآله) حقها قلت: رسول الله(صلى الله عليه وآله)أعطاها؟ قال: بل الله تبارك وتعالى أعطاها"[2] الى غيرها من

---

1 – الحكومة الاسلامية للامام الخميني(رحمه الله)، القسم الثاني حقيقة قوانين الاسلام وكيفيتها تحت عنوان الأحكام المالية.

2– البحار212:96 ، كما روى السيد ابن طاووس في كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن عباس بن علي بن مروان قال: روى حديث فدك في تفسير قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) من عشرين طريقاً، سعد السعود: 101 . 102 ، وقد ذكر المجلسي مصادر عديدة من طرقنا فلاحظ مجلد29 من كتاب الفتن والمحن باب 11 نزول الآيات في امر فدك.



الروايات الاتية.

فكون فاطمة(عليها السلام) مورداً لنزول الآية أمر محقق بين الفريقين، مضافاً الى اقتضاء عنوان ذي القربى ذلك كما مرّ. فيقع البحث في مفاد الحكم في هذه الاية وعن معنى الحق الذي أمر تعالى نبيّه باعطائه فاطمة(عليها السلام)، هل هو قضية في واقعة، أم أنه بنحو القضية الحقيقية الدائمة ومن اجل ذلك استحقت نزول قرآن فيها، وإلا لكان أمراً الهياً يتنزل به الوحي من دون أن يكون قرآناً يُتلى على أسماع المسلمين الى يوم القيامة. وبالتالي تنتهي الى أن البحث عن هذا الحق هل هو مغاير للحق الذي جعل لذي القربى في آية الخمس وآيات الانفال والفيء وهو ملكية التصرف في الاموال العامة وولايتهم فيها أم أنه حق آخر.

الظاهر أنه الوحدة والاتحاد، وذلك لأن ظاهر الآية ليس ابتداء تشريع الحق لذي القربى وانّما هو تنجيز وتنفيذ ما قد شرّع

وجُعل فهو أمر بالمعاجلة في الاداء والانجاز لما قد قُرر سابقاً، نظير قوله تعالى في آيات الغدير **{يا أيها النبي بلّغ ما أنزل**



اليك من ربك وان لم تفعل ما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس انّ الله لا يهدي القوم الكافرين}[1] حيث أن الامر في الآية ليس إلا بتبليغ وانفاذ ما قد أمر به سابقاً، أي أن الامر متعلق بتعجيل الانجاز وعدم التواخي والتأخير خوفاً من عدم ايمان الناس بذلك وعدم استجابتهم فكذا الحال في آية (وآت ذا القربى حقه) حيث أن هذا الحق قد قُرر وجُعل سابقاً في آيات الفيء والانفال والخمس إلا أن النبي(صلى الله عليه وآله) لم يُنجزه خشية من ارجاف المنافقين والطعن على النبي(صلى الله عليه وآله) وبالتالي تزلزل ايمان واستجابة الناس لأمر الله تعالى.

ولعل في ابطائه(صلى الله عليه وآله) ارادة منه لتأكيده تعالى بقرآن اخر قاطعاً شك المرتابين كما تشعر به كل من آيات الخمس والفيء والانفال، حيث ذُيلت آية الانفال بقوله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) وذيّلت آية الفيء أيضاً بقوله تعالى (ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله انّ الله شديد العقاب). وذيّلت آية الخمس بقوله تعال (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) مما ينبيء عن عدم انصياع الناس وتزلزل خطبهم في حق ذي القربى وهو

---

1- المائدة:67 .



ولايتهم على الاموال العامة.

## رؤية جديدة في فدك

ومما يدعم أن اعطاء فدك لم تكن قضية في واقعة بل هو حق مستمر الى يوم القيامة ان خصام الصديقة(عليها السلام) مع أبي بكر في أمر فدك كان احتجاجاً بحق ذوي القربى وملكية تصرفهم في الفيء والانفال وخمس الغنائم، فلم يكن خصامها منصبّاً على خصوص فدك كما لم يكن خصامها في فدك مقدمة أو كناية للاحتجاج في ولاية وامامة علي(عليه السلام) فحسب، بل ان الخصام في فدك هو بعينه احتجاج لولاية أهل البيت وامامتهم (عليهم السلام)، لأن فدك التي أعطاها النبي(صلى الله عليه وآله) لفاطمة بنزول الآية هو انجاز لحقهم في ملكية التصرف في الفيء والانفال وخمس الغنائم، فالخصام في فدك بعينه خصام في ولاية أهل البيت(عليهم السلام) لأن الولاية على الفيء والانفال كما تقدم يستلزم الولاية والامامة العامة .وان كان ملكيتها (عليها السلام)لفدك هي بوجوه متعددة من كونهانحلة وكونها اداء لدين مهر خديجة وكونها إرثاً وكونها تحت يدها وكونها مطهرة معصومة لا تقول إلا الصدق، وغيرها من الوجوه التي تتبيّن بالتدبر عند محاجّتها في فدك. وقد كان احتجاجها والمطالبة بفدك بكل تلك الوجوه . الا ان عمدة وجوه الاحتجاج هو بحق

ذوي القربى وولايتهم في الانفال والفيء ويلوح من ثقة الاسلام الكليني ذلك حيث يقول وأما الانفال فليس هذه سبيلها فهي كانت للرسول(صلى الله عليه وآله) خاصة وكانت فدك لرسول الله(صلى الله عليه وآله) خاصة لانه(صلى الله عليه وآله) فتحها وأمير المؤمنين(عليه السلام) لم يكن معهما أحد [1] ويصوح بذلك من الروايات:

الاولى: ما رواه الكليني والشيخ في التهذيب باسنادهما عن علي بن اسباط قال: "لما ورد ابو الحسن موسى(عليه السلام) على المهدي رآه يرد المظالم فقال يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا تُرد فقال له وما ذاك يا أبا الحسن قال: ان الله لما فتح على نبيه(صلى الله عليه وآله) فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأتول الله على نبيه (صلى الله عليه وآله)(وآت ذا القربى حقه)فلم يدر رسول الله(صلى الله عليه وآله) من هم فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل(عليه السلام)ربّه فأوحى الله اليه أن ادفع فدك الى فاطمة(عليها السلام)فدعاها رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال لها يا فاطمة انّ الله أمرني أن أدفع اليك فدك، فقالت قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك فلم يزل وكلائها فيها حياةرسول الله(صلى الله عليه وآله) فلما ولي ابو بكر أخرج عنها وكلائها فأتته فسألته أن يردها عليها، فقال لها أئتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك فجاءت بأمير المؤمنين(عليه السلام) وأمّ أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها فلقيها عمر فقال

---

1- الكافي ج1 ص538 .



ما هذا معك يا بنت محمد، قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال أرنيه فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه فقال لها هذا لم يوجف أبوك فضعي الحبال في رقابنا فقال له المهدي: يا ابا الحسن حدها لي، فقال حد منها جبل أحد وحد منها عريش مصر وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل، فقال له كل هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، ان هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله(صلى الله عليه وآله) بخيل ولا ركاب فقال: كثير وأنظر فيه" [1] .

وفي البحار عن المناقب أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خذ فدكاً حتى أردها اليك، فيأبى حتى الحّ عليه فقال(عليه السلام) "لا آخذها إلا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال: ان حددتها لم تردّها قال: بحق جدك إلا فعلت؟ قال: أما الحد الاول فعدن فتغير وجه الرشيد وقال: أيهاً قال: والحد الثاني سمرقند فاربدّ وجهه قال: والحد الثالث افريقية فاسود وجّهه وقال: هيه قال: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر والرمينية قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوّل الى مجلسي قال موسى: قد أعلمتك أنني ان حددتها لم

---

1- الكافي1:543، والتهذيب 4:199 ، والوسائل ابواب الانفال باب اول حديث5.



تردّها فعند ذلك عزم على قتله" [1] .

وفي هذه الرواية دلالة واضحة على اتحاد الحق في قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) والحق في الفيء والانفال الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كما أن فيه تصويح بأن أول مصاديق ذوي القربى هي فاطمة(عليها السلام)كما أن في الرواية تصويح بأن حقها (عليها السلام) يمتد بامتداد الانفال وسعتها، فالبلاد التي لم تفتح بيد رسول الله(صلى الله عليه وآله)ولا بأذنه فهي من الانفال وبالتالي تكون متعلقة بحق الصديقة (عليها السلام)، ومن بعدها للائمة من ذريتها ومن ثم فلا يقتصر حقها في ملكية التصرف في الاموال العامة، بل أن ولايتها تشمل التدبير في مطلق الامور العامة في الوقت الذي كانت الولاية بيد الرسول(صلى الله عليه وآله) ومن بعده للامام أمير المؤمنين(عليه السلام)بلا تعارض بين هذه الولايات، أي بنحو الطولية، كما هو الحال بين ولاية الله تعالى وولاية الرسول وولاية الامام المعصوم وسيأتي بيان ذلك في الجهة اللاحقة.

وبعبارة أخرى أنما ورد من أن الارض كلها للإمام، المراد به هو كون الانفال له ومعنى كون الارض كلها له ملكية التصرف وولاية التصرف فيها، وهذه الملكية في حين أنها ليست على حذو الملكية الفردية الخاصة بل بمعنى ولايته على الارض

---

1- البحار 48:144 .



وتدبير أمورها، هي ملكية أيضاً بالمعنى الاصطلاحي كذلك، اذ لا معنى للملك الا السلطنة على التصرفات، فيتبيّن من ذلك انّ الملكية للفيء والانفال والارض ليست ملكية مالية محضة بل هي علاوة على ذلك ولاية تصرف وتدبير وحيث أن الصديقة(عليها السلام) ممن له الحق في الانفال والفيء فهي ذات ولاية في الامور العامة وملكية تصرف وتدبير فيها، وان لم تكن ولايتها مستقلة كالامامة ومن ثم فسر الامام الكاظم(عليه السلام) حقّ الصديقة في فدك والذي ورثه هو(عليه السلام) عن جدته الصديقة (عليها السلام) فسوه بالولاية العامة على بلاد المسلمين، لا كما يقال من معنى الرواية بأنه(عليه السلام)كنّى عن حقّه في الامامة والولاية بحق الصديقة في خصوص فدك، بل الاصل في تعبيره(عليه السلام) أن حق فدك استحقته(عليها السلام)باستحقاقها في الانفال والفيء الذي هو الولاية في الامور العامّة لا أنه يستلزمه وتفصح آية الفيء عن ذلك حيث تعلل اختصاص ذوي القربى بالفيء والانفال بأنه موجب للعدالة المالية والاقتصادية بين المسلمين. ومن البيّن أن تلك العدالة لا تتحقق إلا لمن يملك زمام الامور العامة، فهذا الاختصاص في حين أنه ملكية بتمام ما للملكية من معنى فهو أيضاً ولاية للأمور العامة لما تقدم من أن الملكية ليست إلا السلطنة على التصرفات. نظير هذه الرواية ما ورد في البحار من أخبار الخلفاء وتعاطيهم في فدك.



الثانية: ما رواه المفضل عن الصادق(عليه السلام) قوله:

"لما ولي ابو بكر بن أبي قحافة قال له عمر: ان الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن علي وأهل بيته الخمس

والفيء، وفدكاً، فان شيعته اذا علموا ذلك تركوا علياً وأقبلوا اليك رغبة في الدنيا وايثاراً ومحاباة عليها، ففعل ابو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك فلما قام . ابو بكر بن أبي قحافة . مناديه: من كان له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه، وأنجز لجابر بن عبدالله ولجرير بن عبدالله البجلي.

قال: قال علي(عليه السلام) لفاطمة (عليها السلام) صيري الى أبي بكر وذكريه فدكاً، فصارت فاطمة اليه وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء، فقال: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله فقالت: أما فدك، فانّ الله عزوجل أنزل على نبيهّ قرآنا يأمر فيه بأن يؤتيني وولدي حقي، قال الله تعالى (فآت ذا القربى حقه)فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق الى رسول الله(صلى الله عليه وآله)فنحلني وولدي فدكاً، فلما تلا عليه جبرئيل(عليه السلام)(والمسكين وابن السبيل) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما حق المسكين وابن السبيل؟ فأنزل الله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)فقسم الخمس على خمسة أقسام، فقال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون



دولة بين الاغنياء)فما لله فهو لرسوله، وما لرسول الله فهو لذي القربى، ونحن ذو القربى، قال الله تعالى: (قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)فنظر ابو بكر بن أبي قحافة الى عمر بن الخطاب وقال: ما تقول؟ فقال عمر: ومَن اليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟ فقالت فاطمة(عليها السلام)اليتامى الذين يأتمون بالله وبرسوله وبذي القربى والمساكين الذين اسكنوا معهم في الدنيا والاخرة، وابن السبيل الذي يسلك مسلكهم قال عمر: فاذن الخمس والفيء كله لكم ولموالليكم وأشياعكم؟ فقالت فاطمة(عليها السلام)أما فدك فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا وشيعتنا وأما الخمس فقسمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ في كتاب الله، قال عمر: فما لسائر المهاجرين والانصار والتابعين بأحسان؟ قالت فاطمة: ان كانوا موالينا ومن أشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها الله وأوجبها في كتابه فقال الله عزوجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب)قال عمر: فدك لك خاصة والفيء لكم ولأوليائكم؟ ما أحسب أصحاب محمد يرضون بهذا؟ قالت فاطمة: فانّ الله عزوجل رضي بذلك ورسوله رضي به، وقسّم على الموالاة والمتابعة لا على المعاداة والمخالفة، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن خالفنا فقد خالف الله ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الاليم والعقاب الشديد في الدنيا والاخرة،



فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت محمد على ما تدّعين؟! فقالت فاطمة(عليها السلام)قد صدقتّم جابر بن عبدالله وجرير بن عبدالله ولم تسألوهما البيّنة! وبينّتي في كتاب الله، فقال عمر: ان جاءوا وجروا ذكّوا أمرا هيّنا،وّأنت تدعين أمرا عظيّما يقع به الردة من المهاجرين والانصار، فقالت (عليها السلام): ان المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا الى دينه، والانصار بالايمان بالله ورسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلا الينا ولا نصرة إلا لنا،ولا اتباع باحسان الا بنا، ومن ارتد عنا فالى الجاهلية. فقال لها عمر: دعينا من أباطيلك، واحضرينا من يشهد لك بما تقولين!! فبعثت الى علي والحسن والحسين

وأم ايمن وأسماء بنت عميس . وكانت تحت أبي بكر بن ابي قحافة . فأقبلوا الى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادّعته فقال: أما علي فزوجها، وأما الحسن والحسين ابناها، وأمّ أيمن فمولاتها، وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن ابي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكل هؤلاء يجرّون الى أنفسهم، فقال علي(عليه السلام): أما فاطمة فبضعة من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن آذاها فقد آذى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله، وأما الحسن والحسين فابنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسيدا شباب أهل الجنّة، ومن كذّبهما فقد كذّب رسول الله(صلى الله عليه وآله) اذ كان أهل الجنة صادقين، وأما أنا فقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): أنت منّي وأنا منك، وأنت



أخي في الدنيا والاخرة والوالد عليك هو الوالد عليّ، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني، وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالجنّة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها، قال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم، ولكن شهادة الجار الى نفسه لا تقبل، فقال علي(عليه السلام): اذا كنا كما نحن تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تُقبل، فإنّا لله وانا اليه راجعون، اذا ادعينا لانفسنا تسألنا البينة؟ أفما من معين يعينُ، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله، فاخرجتموه من بيته الى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجة (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) ثم قال لفاطمة: انصرفي حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1].

فصريح هذه الرواية أن مطالبتها(عليها السلام) بفدك أحد وجوهها هو حقّها(عليها السلام) في الفيء والخمس وانّ المطالبة لم تكن مقتصرة على الارض المخصوصة.

الثالثة: ومنها ما رواه الشيخ باسناده عن اسحاق بن عمار وأبي بصير عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: "انّ الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة(عليه السلام) ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تُدخِل أعداءها النار وتدخل أوليائها الجنة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى

---

1- البحار 29: 194 ، ومستدرك الوسائل 7:290 أبواب قسمة الخمس باب 1 حديث 10.



معرفتها دارت القرون الاولى"[1].

والتعبير باللام على حذو التعبير بها في آية الفيء والانفال المفيدة لملك التصرف والولاية العامّة، ولعل وجه التقدير بالربع لبيان عدم استقلالها(عليها السلام) بالولاية، بل بالمشاركة الطولية مع النبي والامام المعصوم(عليه السلام)، حيث أنها لم تكن اماماً.

الرابعة: وروى العلامة السيد علي الهمداني وهو من علماء أهل السنّة في مودة القربى عن عتبة بن الاصبهاني عن يحيى بن عقيل قال: سمعت علياً يقول: "قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): انّ الله أمرني أن أزوجك بفاطمة(رض) على خمس

[2]

الدنيا أو على ربعها، شك فيه عتبة، فمن مشى على الارض وهو يبغضك في الدنيا فالدنيا عليه حرام، ومشيه فيها حرام" .

الخامسة: ورووا أيضاً كالصفوّري الشافعي البغدادي في زهة المجالس [3] ، وفي المحاسن المجتمعة [4] وأبي يوسف الدمشقي في أخبار الدول وآثار الاول [5] . والدهلوي في تجهيز الجيش [6] .

---

1- البحار 43:105 ، وأمالي الطوسي المجلس 36 حديث6.

2 - مودة ذوي القربى: 92، عنه احقاق الحق10:368.

3 - زهة المجالس2: 225 ، القاهرة.

4- المحاسن المجتمعة 194مخطوط عنه احقاق الحق10:367.

5 - اخبار الدول وآثار الاول: 88 بغداد.

6- تجهيز الجيش:102 مخطوط عنه احقاق الحق10:367.



رووا جميعاً أن صداقها شفاعتها في أمّة أبيها.

وهذا يعاضد ولايتها على هذه الامة، اذ الشفاعة لمجموع الامة يستلزم كون الشفيع ذو صلة بين مجموع الامة والمشفوع عنده، حيث أن الشفاعة نحو كفالة مطوي فيها تحمّل الشفيع مسؤولية المشفوع عنه، مما يعطي كون الشفيع له نحو ولاية مسبقة على المشفوع عنه، لاسيما أن في الحديث ورد عنوان "الأمة".

السادسة: وما رواه المجلسي، قيل للنبي (صلى الله عليه وآله): قد علمنا مهر فاطمة في الارض فما مهرها في السماء؟ قال: "سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك، قيل: هذا مما يعنيننا يا رسول الله قال: كان مهرها في السماء خمس الارض فمن مشى عليها مغضباً لها ولولدها مشى عليها حراماً الى أن تقوم الساعة".

السابعة: في معتوة يعقوب بن شعيب: "قال لما زوّج رسول اللّه(صلى الله عليه وآله)عليّاً فاطمة دخل عليها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك، فواللّه لو كان في أهلي خير منه ما زوجتكه، وما أنا زوجتكه ولكن اللّه زوجك وأصدق عنك خمس مادامت السموات والأرض" [1] .

الثامنة: وفي الكافي: "ولكن اللّه زوّجك من السماء وجعل مهرك خمس الدنيا مادامت السموات والأرض"

---

1- البحار 43: 44 .



التاسعة: وفي الجلاء والشفاء في خبر طويل عن الباقر(عليه السلام)"وجعلت نِحلتها من علي خمس الدنيا وثلث الجنة وجُعلت لها في الارض اربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ، فزوّجها أنت يا محمد بخمسمائة درهم تكون

سنّة لأمتك".

العاشرة: وفي حديث خباب بن الارت ثم قال النبي(صلى الله عليه وآله): "زوّجت فاطمة ابنتي منك بأمر الله تعالى على صداق خمس الارض ولربعمائة وثمانين درهما، الاجل خمس الارض، والعاجل أربعمائة وثمانين درهما" وقد روي حديث خمس الارض يعقوب بن شعيب عن الصادق(عليه السلام)[1].

الحادية عشر: ومثله ما في مصباح الانوار وكتاب المحتضر رفعه باسناده عن ابن عباس أن النبي(صلى الله عليه وآله) قال لعلي(عليه السلام): "يا علي ان الله عزوجل زوّجك فاطمة وجعل صداقها الارض، فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى عليها حراماً"[2].

الثانية عشر: وروي في فقه الرضا: "أروي عن العالم(عليه السلام) أنه قال ركز جبرئيل برجله حتى جرت خمسة انهار ولسان الماء يتبعها الفرات ودجلة والنيل ونهر مهربان ونهر بلخ فما سقت وسقى منها فللامام، والبحر المطيف بالدنيا" وروي أن الله جل وعزّ جعل مهر

---

1- البحار 43:113 .

2- البحار 43:145 .



فاطمة(عليها السلام) خمس الدنيا، فما كان لها صار لولدها (عليهم السلام)[1].

ومفاد هذه الجملة من الروايات من أمهار فاطمة(عليها السلام) بخمس الارض أو ربعها وأنّها لها نظير ما ورد في أن الارض كلها للامام، والمراد باللام فيها ملكية التصرف أي الولاية العامة عليها.

الثالثة عشر: ومنها ما رواه الكليني في الكافي بسند صحيح الى أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: "وجدنا في كتاب علي(عليه السلام) أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، أنا وأهل بيتي الذين اورثنا الله الارض ونحن المتقون والارض كلها لنا"[2].

الرابعة عشر: وما رواه الكليني كذلك بسنده عن أبي حمزة عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: "ان الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهاماً ثلاثة في جميع الفيء ثم قال عزوجل: (واعلموا انّما غنتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فنحن أصحاب الخمس والفيء وقد حرّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا والله يا أبا حمزة ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس فيضرب على شيء منه الا كان حراماً على من يصيبه فرجاً كان أو مالاً ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه

---

1 - مستدرك الوسائل، الانفال ب1ح2 .

2- الكافي1: 407 .



فيمن لا يزيد حتى أن الرجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل الى شيء من ذلك وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجّة"[1] .

ونظير هذه الرواية مما عبّر بذوي القربى كثير من الروايات الواردة في باب الانفال والفيء، وهذين العنوانين لاريب في شمولهما لها(عليها السلام).

والخلاصة: فقد تتحصل من الجهات المتقدمة مشاركة الصديقة(عليها السلام)للنبي وللامام(عليهم السلام) للولاية العامّة في الامور بنحو المشاركة الطولية وان لم تكن ولايتها(عليها السلام) مستقلة بل بنحو التشريك، وهذه الولاية بهذا المعنى ليس مقتضاها الامامة والولاية العامّة الاصطلاحية ولكنها لا تقتصر على الاموال العامّة من جهة ماليتها ولا على خصوص ارض فدك والعوالي كما قد يرج تفسير احتجاجها في ارض فدك على ذلك.

### الجهة السابعة: ولايتها ومؤيدات أخرى

ويؤيد استفادة ولايتها من الآيات والروايات المتقدمة أمور أخرى منها: كون ولاية زواجها بيده تعالى خاصّة، دون الرسول(صلى الله عليه وآله) ودون الإمام المعصوم، مع أن مقتضى قوله تعالى

---

1 - الروضة من الكافي8:285.



**{النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم}**[1] هو ولايته على كل أفراد المؤمنين مقدمة على ولايتهم على أنفسهم، ومن ثَمزوّج النبي(صلى الله عليه وآله) من زيد بن حارثة مولاه، مع أنها كانت كارهة لذلك، فضلاً عن كراهية أهلها، فنزل في ذلك قوله تعالى **{ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللّه ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً}**[2] .

وكذلك الحال في الإمام المعصوم حيث يرث مقام الرسول فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم في شؤونهم الفردية كما هو وليهم في امورهم العامّة.

إلا أنّ في خصوص الزهراء(عليها السلام) قد ورد من طريق الفريقين[3]

---

1 - الأحزاب: 6 .

2 - الأحزاب: 36 .

3 - فقد ورد عن طرق أهل السنة ما تواتر من قوله(صلى الله عليه وآله) . عندما خطب أبا بكر إلى النبي(صلى الله عليه

وآله) فاطمة(عليها السلام) فقال: "أنتظر لها القضاء" ثم خطب اليه عمر، فقال: "أنتظر لها القضاء" الخبر وقد روى ذلك الطواني في المعجم الكبير 10: 156 ، كنز العمال 11: 600 ميزان الاعتدال 2: 671 ، ينابيع المودة 2: 89، الجامع الصغير للسيوطي 1: 258 ، الكشف الحثيث: 174 ، تاريخ مدينة دمشق 37: 13 ، ذخائر العقبى للطوي: 29، المنتقى من اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل للشافعي القلقشندي: 66 ، المختار من مسند فاطمة الزهراء للسيوطي: 157 وابن شاهين المروزي في كتاب فضائل فاطمة(عليها السلام) والبلاذري في تاريخه عنهما البحار 43 . 107 .

وعن طرق الشيعة ما رواه في كشف الغمّة . كما في البحار 43: 141 . قول رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) لأبي بكر عندما خطب فاطمة(عليها السلام) أمرها إلى ربّها، وقال لعمر مقالته لأبي بكر كذلك. وقوله(صلى الله عليه وآله) لأشراف قريش عندما خطبوها فردّهم: "إنّ امرها إلى ربها، إن شاء أن يزوجّها زوجها".



أنّ ولي امر زواجها هو اللّه تعالى خاصة. وهذا مما يقتضي كون مقامها ذو شأن خطير، وان لها نحو من الولاية لبلوغها تلك الدرجة التي تضطلع بأهلية خاصّة، تتقيد قيمومته(صلى الله عليه وآله) بما هو الرسول عليها.

وهذا الاقتضاء مطرد في باب الولاية وماهيتها، فانّ انحسار ولاية الولي على المولى عليه مع فرض واجدية الولي وأهليته للقيمومة لا يكون إلا ببلوغ المولى عليه درجة من الكمال يضطلع بها بشؤون الولاية، كما في سائر موارد المولى عليهم.

منها: ما ورد من نصوص الفريقين . التي مرت في المقام الثاني . من أنه لم يكن لها كفو . لا علي [1] . من آدم فما دونه، اذ مقتضى عنوان الكفو، المشاركة والمعادلة في الجملة، ونظير ما ورد من الرواية في تفسير قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) انّ البحرين هما علي وفاطمة، والبرزخ هو النبي(صلى الله عليه وآله) أنه لا يطغي أحدهما على الاخر فقد روي في تفسير البرهان عن الكليني والصدوق وتفسير محمد بن عباس

---

1 – لاحظ ما تقدم، ولاحظ البحار: 43 فقد أورد المجلسي(رحمه الله) عدّة روايات.



وغيره من كتب الاصحاب المعروفة احدى عشر طريقاً لهذه الرواية وكذا من طرق أهل السنّة، ففي رواية يحيى بن سعيد العطار قال: "سمعت ابا عبدالله(عليه السلام) يقول: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، قال: علي وفاطمة(عليهما السلام) بحران من العلم عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين (عليهما السلام)"، وفي رواية أخرى فُسر البرزخ الذي بينهما برسول الله (صلى الله عليه وآله) [1] .

ومفاد هذه الروايات المتقدمة دال على نحو مشاركة لها(عليها السلام)في الولاية لما هو مقرر من تلازمها مع المقام العلمي اللدني ونحوه من المقامات الغيبية، وبهذا التقريب يستشهد لولايتها العامّة بروايات اشتقاق النور.

منها: ما رواه المجلسي في بحاره مسنداً الى سلمان الفارسي قال: "دخلت على رسول (صلى الله عليه وآله) فلما نظر اليّ

قال: يا سلمان انّ الله عزوجل لم يبعث نبياًولارسولا إلا جعل الله له اثني عشر نقيبا قال: قلت يارسول الله قد عرفت هذا من الكتابين، قال: يا سلمان فهل علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا سلمان خلقني الله من صفاء نوره

---

1 – البرهان4: 265 – 266 . وكذا ما رواه الثعلبي في تفسيره برويه برواية سفيان الثوري وسعيد بن جبير.



فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه الى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي(عليه السلام) فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة، الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله عزوجل بخمسة أسماء من أسمائه فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة والله الاحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين"[1] .

اذ من الواضح أن مفاد اشتقاق النور هو بيان لمقاماتهم (عليهم السلام)بحسب التكوين المترتب عليها الولاية بحسب التكوين والتشريع.

ومنها الروايات المتقدمة في مصحف فاطمة (عليها السلام)[2] .

ومنها: ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا باسناده عن علي بن موسى الرضا(عليه السلام) في حديث تزويج الله تعالى لفاطمة من علي (عليهما السلام)، الى أن قال: "فقال الله عزوجل: ياراحيل ان من بركتي عليهما(علي وفاطمة)اني أجمعهما على محبتي وأجعلهما حجتي على خلقي وعزتي وجلالي لأخلقن منهما خلقاًولأنشأنّ منهما ذريّة مباركة طاهرة أجعلهم خزاني في ارضي ومعادن لحكمي

---

1– البحار43:6 ، ومنها ما رواه في الجزء30:67 ،وج35:27و28 ،وج37:83 ،وج40:44 ،وج47:167 ،وج43:17، وج57:192 – 202 .

2– مرّ في المقام الثاني: حجيتها على حجج الله المعصومين(عليهم السلام).



بهم احتج على خلقي بعد النبيين والمرسلين... ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ولقد اخبرني جبرئيل(عليه السلام): انّ الجنةّ وأهلها مشتاقون اليكما ولولا أن الله تبارك أراد أن يتخذ منكما ما يتخذ به على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة واهلها.."[1] .

ومنها: الروايات المتقدمة في أن الله تعالى يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها، مما يدل على حجيتها كما تقدم من دون تقييد لذلك بالعلوم التي صدرت منها أي ليست حجيتها بالوساطة العلمية فقط بل يعمّ رضاها في الامور العامةّ وغضبها فيها.

كما تجلى ذلك واضحاً في موقفها(عليها السلام) بعُيد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله)في رسم الخلافة الاسلامية لكل الاجيال، ومن ثَمَ دارت اربعين ليلة على المهاجرين والانصار تستحثهم على مناصرة علي وتجديد البيعة له، مما يدل على اشرافها ومساهمتها في تدبير أس الامور العامة وهي الخلافة.

ونظير ما ورد في وصية النبي(صلى الله عليه وآله) لعلي عند احتضاره (صلى الله عليه وآله): يا علي أنفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها

---

1 – عيون اخبار الرضا(عليه السلام) للصدوق: 176 ، ورواه الصدوق باسناد اخر عن أبي عبدالله الصادق(عليه السلام) ورواه باسناد ثالث في الامالي عن الصادق(عليه السلام)وفي البحار 43: 101 . 103 .



جبرئيل(عليه السلام)[1] . فانّ مقتضى مادة الامر ثبوت نحو ولاية للآمر، وان كان علي(عليه السلام) اماماً لفاطمة(عليه السلام).

وفي رواية العباس عن ابي جعفر الاحول قال: "قال ابو عبدالله(عليه السلام): ما تقول قريش في الخمس قال: قلت انها (أنه) لها، قال: ما انصفونا والله، لو كانت مباهلة لتباهلن بنا وان كانت مبارزة لتبارزن بنا، ثم يكون هم وعلي سواء"[2] .

وتقريب دلالتها، أنه(عليه السلام) جعل الملازمة بين من يباهل بهم، ومن له الولاية على الخمس والذي هو أهم الضرائب المالية الكبرى في الشريعة الاسلامية.

ومقام المباهلة كما تقدم هو مقام الاحتجاج أي من يكون حجة على حقانية الدين وله هذا المقام هو الذي يكون صاحب ولاية في الخمس، وهذا الحال سيان في الفيء والانفال لأن العنوان هو ذوي القربى، وأحد مصاديق من قامت به المباهلة، هو الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ومنها: ما تقدم تقريبه في آية المودة **{قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى}**[3] فإن مفاد هذه الآية ولاية ذوي القربى

---

1 – البحار ج22:484.

2– الوسائل باب قسمة الخمس ح15 .

3 – الشورى: 23 .



المعصومين منهم خاصّة على الامة، وإن كان مطلق ذوي القربى لهم مطلق المودة، وحيث تقرر ذلك:

فذوي القربى كما عرفت فيما تقدم أول مصاديقه فاطمة (عليها السلام)، وقد فُسرت آية المودة في آيات اخرى كقوله تعالى

{قل لا اسالكم عليه اجراً إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا} وكقوله تعالى {قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين}[2] وقوله تعالى: {قل ما سالتكم من اجر فهو لكم}[3] وقوله تعالى {وما تسألهم عليه من اجر إن هو إلا ذكر للعالمين}[4] أي عائد نفعه لكم، لأن مودة ذوي القربى سبيل هداية الى الله وذكرى للعالمين، فمودة ذوي القربى نفعه عائد للعالمين أنفسهم، وهذا مما يعضد أن مودتهم هي بدرجة الولاية لهم والاهتداء بهم كسبيل الى الله تعالى، وحجيتهم على الخلائق، فيكون كل ذلك ثابت لها (عليها السلام). وكيف لا تكون هي أبرز من يندرج في مودة ذوي القربى وقد قال فيها النبي(صلى الله عليه وآله) عن طرق الفريقين: "انّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها".

---

1 - الفرقان: 57 .

2- الانعام:90 .

3- سبأ: 47 .

4- يوسف:104 .



## الجهة الثامنة: روايات أهل السنة وعموم مطالبتها بالخمس والفيء وفدك

روى البخاري بسنده عن عائشة في كتاب المغازي باب 38 باب غزوة خيبر أن فاطمة (عليها السلام) بنت النبي(صلى الله عليه وآله) أرسلت الى أبي بكر تسأله مواثها من رسول الله(صلى الله عليه وآله) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال ابو بكر انّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال انا لا نورث ما تركناه صدقة، انمّا يأكل آل محمد(صلى الله عليه وآله) من هذا المال واني والله لا اغير من صدقة رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن حالها التي كانت عليه في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله(صلى الله عليه وآله) فأبى ابو بكر أن يدفع الى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي(صلى الله عليه وآله) ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها ابا بكر وصلّى عليها[1].

وهذه الرواية صريحة في كون فاطمة(عليها السلام) مطالبة بوراثتها لمقام النبي(صلى الله عليه وآله) في الفيء، ومن البيّن الواضح ان مقام النبي في الفيء ليس هو مجرد الملكية المالية والتصرفات بل هو الولاية

---

1 - فتح الباري في شرح صحيح البخاري7: 493، دار الفكر.



على كل الفيء والتي قد تقدم أنها أشد سلطنة من الملكية العادية في الأعيان.

كما أن صراحة هذه الرواية يدل على أن أحد وجوه مخاصمتها في فدك هو كونها في الفيء المستدة ولايته وملكية

التصوف فيه لذوي القربى، وأنها (عليها السلام) أول من يصدق عليه ذلك العنوان كما أن صريحة هذه الرواية مطالبتها بالخمس والفيء وفدك.

وفي صحيح مسلم بنفس اللفظ[1]، وكذلك في مسند أحمد[2].

والى ذلك أشار ابن أبي الحديد: واعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة(عليها السلام) ابا بكر كان في أمرين، في الميراث والنحلة وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث ومنعها ابو بكر ايّاه أيضاً وهو سهم ذوي القربى، قال ابو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: أخبرني ابو زيد عمر بن شبه قال حدثني هارون بن عمير قال: حدّثني الوليد بن مسلم قال: حدثّني صدقة ابو معاوية عن محمد بن عبدالله عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك: بأن فاطمة(عليها السلام) أتت ابا بكر

---

1- صحيح مسلم ص1380 حديث 1759.

2- مسند أحمد 2: 242و376 و463 و464 .



فقالت لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذوي القربى) الآية. فقال لها ابو بكر بأبي انت وأمي ووالد ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله(صلى الله عليه وآله) وحق قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملاً، قالت: أفلك هو ولأقرباءك قال: لا بل انفق عليه منكم واصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله تعالى قال ابو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري وأخبرنا ابو زيد قال: حدثنا هارون بن عمير قال: حدّثنا الوليد بن ابي الهيعة عن أبي الاسود عن عروة قال: أرادت فاطمة ابا بكر على فدك وسهم ذوي القربى فأبى عليها[1].

واستعرض جملة من ذلك ابن قدامة في المغني قال: روي عن الحسن وقتادة في سهم ذي القربى كانت طعمة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) في حياته فلما توفي حمل عليه ابو بكر وعمر في سبيل الله، وروى ابن عباس أن ابا بكر وعمر قسّما الخمس على ثلاثة أسهم ونحوه حكي عن الحسن بن محمد بن الحنفية وهو قول

---

1 - شرح النهج لابن ابي الحديد16:230 - 231 .



أصحاب الرأي قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة اليتامى والمساكين وابن السبيل وأسقطوا سهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) بموته وسهم قرابته أيضاً، وقال مالك: الفيء والخمس واحد يجعلان في بيت المال، قال ابن القاسم وبلغني عمن أثق به أن

مالكاً قال: يعطي الامام أقرباء رسول الله(صلى الله عليه وآله) على ما يرى. وقال الثوري والحسن: يضعه الامام حيث أراه الله عزّوجلّ، ولنا قول الله تعالى (واعلموا انما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الى أن قال: فلا يُترك ظاهر النص وقول رسول الله(صلى الله عليه وآله) وفعله من اجل قول أبي العالية، وما قاله ابو حنيفة فمخالف لظاهر الآية فانّ الله تعالى سمّى لرسوله ولقرابته شيئاً وجعل لهما في الخمس حقا كما سمى للثلاثة اصناف الباقية فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، وأما حمل أبي بكر وعمر على سهم ذي القربى في سبيل الله فقد ذكر لأحمد فسكت وحرك رأسه ولن يذهب اليه، ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقه اولى لموافقته كتاب الله وسنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) فانّ ابن عباس لما سئل عن سهم ذوي القربى فقال: انا كنا نزعم أنه لنا فأبى ذلك علينا قومنا ولعل مراد بقوله أبى علينا قومنا فعل أبي بكر وعمر في حملهما عليه في سبيل الله ومن تبعهما على ذلك ومتى اختلف الصحابة وكان



قول بعضهم يوافق الكتاب والسنّة كان اولى، وقول ابن عباس وافق الكتاب والسنة[1].

وما رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن أحمد وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن أبي الطفيل قال: "جاءت فاطمة الى ابي بكر فقالت: فأنت ورثت رسول الله(صلى الله عليه وآله) أم أهله قال: بل أهله، قالت: فما بال الخمس؟ قال: اني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: اذا اطعم الله نبياً طعمة ثم قبضه كانت للذي بعده فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين"[2].

وغيرها من روايات أهل السنة الدالة على أنها(عليها السلام) لم تقتصر مطالبتها في حقها على عين خاصة ونحو ذلك، بل في عموم الفيء والخمس وميراثها لمقام رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيهما، وهو ملكية تصرفه وولايته.

والحمد للّه ربّ العالمين، وصلىّ اللهّ على محمد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

---

1 – المغني لابن قدامة باب قسمة الفيء والغنيمة والصدقة 7:301.

2– كنز العمال 3:130 .